Saba Journal of Humanities and Social Sciences
مجلة سبأ للعلوم الإنسانية والاجتماعية

أشكال كتابة الذّات: في "الخروج من النفق المُظلم" للمَرْوَنِي: (من تجنيس النصِ إلى تشظّي الذّات)

أماني عبد الله سلّام القدسي
باحثة دكتوراه في الأدب الحديث في كلية الآداب - جامعة منّوبة بتونس
amanykadasy@gmail.com

رشوان دحيم سيف غالب
معيد في قسم اللغة العربية كلية التربية والعلوم التطبيقية والتقنية بباجل- جامعة الحديدة، وباحث دكتوراه في الأدب العربي الحديث في كلية الآداب والفنون والإنسانيات- جامعة منّوبة- تونس
duheemr@gmail.com

Forms of Self-Writing in Al-Marwani's Exiting the Dark Tunnel: From Textual Categorizing to Fragmentation of the Self.

Amani Abdullah Sallam Al-Qadasi
PhD Researcher in Modern Literature, Faculty of Arts - Manouba University, Tunisia
amanykadasy@gmail.com
&
By Rashwan Dahiam Saif Ghaleb
Teaching Assistant, Department of Arabic Language- Faculty of Education, Applied Sciences and Technology, Bajil- University of Hodeidah, and PhD Researcher in Modern Arabic Literature, Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences, University of Manouba, Tunis
duheemr@gmail.com

تاريخ الاستلام: 7 -8- 2025 تاريخ القبول: 11- 8- 2025
Received: 7 -8- 2025 Accepted: 11- 8- 2025
DOI: https://doi.org/ 10.48185/sjhss.v1i3.1737
ISSN (online): 3080-1648

الملخص:

تسعى الدراسة إلى تبين أمرين: أولهما، الجنس السردي الذي ينتمي إليه نص المروني "الخروج من النفق المظلم". وثانيهما، أشكال كتابة الذّات وتشظّياتها. وقد توسّلنا بالمقاربة الموضوعاتية؛ لسبر أغوار النصّ، ومعرفة الخصائص المتحكّمة في إنتاجه وتشكّله، والموضوعات المهيمنة عليه. وارتأينا أنَ نقسم الدراسة إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها: أنّ النص هو مذكّرات الكاتب، وأنّ أشكال كتابة الذّات فيه متعدّدة، والذّات الكاتبة متشظّية إلى ذوات عدّة؛ نتيجة للتجارب العامة، والتحولات السياسية في مسيرة حياتها المختلفة. وقد تجلّت الذّاتية من خلال الأحكام الانطباعَية والانفعالية التي ساقها الكاتب في نصه، ومردها إلى الذات الإيديولوجية التي وجّهت مسار الكتابة عند الكاتب.

الكلمات المفتاحية: أشكال كتابة الذّات– الخروج من النفق المظلم– المروني– التجنيس– تشظّي الذات.

Abstract

This study aims to clarify two matters: First, the narrative genre to which Al-Marwani's text *Exiting the Dark Tunnel* belongs. Second, the forms and fragmentations of self-writing. We employed a thematic approach to delve into the text, identify the characteristics controlling its production and formation, and understand its dominant themes. We decided to divide the study into an introduction, two chapters, and a conclusion. The study reached several key findings, most notably: that the text is the author's memoirs, and that the forms of self-writing within it are multiple, with the authorial self-fragmented into several selves. This fragmentation is a result of general experiences and political transformations throughout the different stages of their life journey. Subjectivity was manifested through the impressionistic and emotional judgments presented by the author in their text, attributable to the ideological self that directed the author's writing trajectory.

Keywords: Forms of self-writing, *Exiting the Dark Tunnel,* Al-Marwani, textual gendering, fragmentation of the self.

للاقتباس: القدسي، أماني عبد الله سلّام. غالب، رشوان دحيم سيف. (2025). **أشكال كتابة الذات: في "الخروج من النفق المُظلم" للمَرْوَنِي (من تجنيس النصّ إلى تشظّي الذّات)**، *مجلة سبأ للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، مج1، ع(3): 57- 83

Cite this article as: Al-Qadasi, Amani Abdullah Sallam & Ghaleb, Rashwan Dahiam Saif. (2025). Forms of Self-Writing in Al-Marwani's Exiting the Dark Tunnel: From Textual Categorizing to Fragmentation of the Self. Saba Journal of Humanities and Social Sciences, Mg 1, p 3 :57 - 83

المقدّمة:

تتداخل الأجناس في خصائصها، فيبدو للقارئ منذ الوهلة الأولى أنّه من العسير تبين الفروق الدقيقة لهذا الجنس السردي من ذاك، خاصة في بعض النصوص التي تنتمي إلى أجناس متقاربة في خصائصها، ومدارها على ذات الكاتب، وهي في علاقة بالتاريخ العام والشّخصي. ومن هذه النصوص نص المروني، فهو نص إشكالي في انتمائه الأجناسي، وفي تناوله للذات بوصفها موضوعا يتردد في سياقات عديدة من النص، ويهيمن عليه. إنّ هذا النص يطرح إشكالية التجنيس، وإشكالية كتابة الذات. فهل الكاتب يحكي ذاته أم يكتبها؟ وهل هي ذات واحدة أم متعددة؟ وكيف كتب الكاتب ذاته؟ ولماذا؟ إنّ هذه التساؤلات دائما ما تطرحها أجناس السرد الذاتي، بوصفها أجناسا تهتم بكتابة الذات. بل إنّ الذات فيها مركزية.

دوافع الدراسة:

- نص المروني لم يحظ بالدرس النّقدي والتّحليل، فهو جنس مغمور. بل إنّ بعض أجناس السرد الذاتي في اليمن لم تحظ بالاهتمام والدراسة.
- محاولة التدقيق في الجنس الذي ينتمي إليه النص، وما يميزه من الأجناس السردية الأخرى.
- الكشف عن سياقات تجلّي الذات الكاتبة المهيمنة على النص وتشظّياتها، والأسباب الكامنة وراء ذلك.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى:

- التدقيق في عنوان النص، ومدى مطابقته لمضمونه.
- معرفة أشكال الذّات في النص، والأسباب الكامنة وراء تعدّدها، وتشظيها.
- النظر في الأحكام الانطباعية والانفعالية النّابعة من الذات الكاتبة، وبيان مقاصدها ومرجعياتها.

صعوبات الدراسة:

- ندرة الدراسات العربية في هذا الجنس من الكتابة، إذ لم نجد أي دراسة تناولت نص المروني حدّ علمنا واطلاعنا، وهو الأمر الذي زاد من صعوبة التعامل معه.

عينة الدراسة وزمانها ومكانها:

عينة الدراسة: هو نص (كتاب) أحمد حسين المروني "الخروج من النفق المظلم: معالم سيرة ذاتية".

زمانها: يبدأ زمن الحكاية في نص المروني من عشرينات القرن الماضي إلى ثمانيناته. أما تاريخ النشر، فتعود أول طبعة للكتاب إلى سنة 2001م.

مكانها: الجمهورية اليمنية.

إشكالية الدراسة:

تتقاطع بعض نصوص السرد الذاتي بمشتركات عدة، منها: العام والخاص، والاجتماعي والعائلي والشخصي، والموضوعي والذاتي. فهل نص المروني هو سيرة ذاتية كما أبان عن ذلك العنوان الفرعي. ومن ثم يكون إلى الذاتية أقرب؟ أم هو نص في المذكّرات؛ لأنّ الجزء الأول من العنوان "الخروج من النفق المظلم" يوحي بذلك. وعليه، يكون النص إلى تجارب الشأن ا لعام أقربَ؟ أم أنّ الذاتي والموضوعي متداخلان فيه؟ فإلى أي حد يمكن القول إنّ نص المروني، هو نص في السيرة الذاتية. وإلى أي حدّ أيضاً يمكن القول إنّه نص في المذكّرات. ولذلك، فإنّ التحديد الأجناسي للنص قد يحل بعض الإشكالات، ويوجهنا نحو قراءة النص في سياقه الأجناسيَ العام، ودون ذلك لا يمكن دراسة الذات في النص دراسة دقيقة؛ لأنّ بعض أجناس السرد الذاتي، وخاصة المذكّرات، تهتم بالعام أكثر من الخاص والحميمي والشخصي، إلا ما ندر من بعض النصوص المتمردة عن التجنيس ومواثيق القراءة. وفي هذا السياق نطرح السؤال الإشكالي المركزي وهو:

إلى أي حدّ يمكن القول إنّ نص المروني هو مذكّراته، وإنّ الذات فيه مُهيمنة ومُتشظّية، ولها إسهامات في تشكيل النص، وإبرازً معالمه؟

إ نّ هذه الإشكالية تطرح تساؤلات عدّة، منها:

- إلى أي جنس سردي ينتمي نص المروني؟
- ما أشكال كتابة الذات في النص؟
- كيف تجلّت الذات في النص؟ وما صورها؟ وما مقاصدها في الكتابة؟ إنّ هذه الأسئلة وغيرها هي من هواجسنا في هذه الدراسة.

مقاربة الدراسة:

لما كانت دراستنا ستبحث في إشكالية التجنيس، وفي أشكال كتابة الذات في نص المروني، أي أننا سننظر في تجنيس النص، وفي أشكال كتابة الذات بوصفهما موضوعات مهيمنة على النص، فإنّنا سنتوسل بـ **"المقاربة الموضوعاتية"** بوصفها مقاربة تبحث عن الموضوعات المتحكّمة في إنتاج النص وتشكّله، وفي الموضوعات المهيمنة عليه. وهي أيضا "التردد المستمر لفكرة، أو صورة ما، فيما يشبه لازمة أساسية وجوهرية، تتخذ شكل مبدأ تنظيمي ومحسوس، أو دينامية داخلية، أو شيء ثابت، يسمح للعالم المصغّر بالتشكل أو الامتداد". (علوش، 1989: 7). وتهتم بـ "المدلولات" التي يحملها النص، على مستوى الكلمات والجمل، ولكنه[ا] [تـ]نشغل أكثر بالبحث عن "الموضوع المهيمن"، الذي يستحوذ على اهتمام الكاتب". (شرقي، 2019: 76).

وسنركّز على الذات الكاتبة بوصفها ذواتاً متعدّدة في النص. ولم يكن هذا التعدّد – في تقديرنا– اعتباطًا أو دون قصد من الكاتب، وإنّما تتشظّى الذات وتتعدد؛ لمقاصد الكاتب ومراميه في علاقة بالتجربة الكتابية. ولذلك، فإنّنا سنحاول أن نقف على موضوعين هما: "التجنيس والذات" وما يحملان من مقاصد تخص النص وكاتبه، وتبرز قيمته الإبداعية في علاقة تجربة الذات بالتجربة الوطنية. وإنّنا على وعي بأنّ مقاربتنا موضوعاتية ، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أمرين: أما الأمر الأول فمتعلق بالمقاربة الموضوعاتية نفسها، وهو أنّنا لم نسع في هذه الدراسة إلى تطبيق المقاربة الموضوعاتية

بكليتها، وإنّما سنقتصر على دراسة بعض أشكال الذات المهيمنة على نص المروني. وأما الأمر الثاني، فمتعلّق بما سندرسه في موضوع التجنيس (وهو دراسة عتبات النص)، إذ إننا سندرسه من زاوية المقاربة الموضوعاتية، وليس من زاوية المقاربة الإنشائية، وإن كانت دراسة العتبات أقرب إلى الإنشائية، فقد ارتأينا أنّه من المهم تبين جنس النص؛ لكي نفهم الذات الكاتبة فيه، ومن ثم كيفية دراستها. فإذا كان النص في السيرة الذاتية، فإنّه من الممكن أن تتعدّد الذات الكاتبة فيه حسب مراحل حياتها المختلفة. أمّا إذا كان النصّ في المذكّرات، فإنّه من غير الممكن أن نجد ذواتاً متعدّدة فيه، لسببين: الأول هو أنّ الكاتب يروي مرحلة محدودة من حياته، أما السَبب الثاني فهو إنّ الذات في المذكّرات هي ذات شاهدة على مرحلة ما من حياتها في الشأن العام. ولذلك، إذا وجدنا الذات متعدّدة في المذكّرات، فإنّنا أمام نص مختلف عن النصوص في هذا الجنس من الكتابة، ومتمرد عليها، ولا يخلو من مقاصد ودلالات متصلة بواقع الكتابة ومقتضياتها، وبدور الذات الكاتبة والفاعلة فيها. ولهذا، كلّه كان موضوع التجنيس مهما في دراستنا.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتدقيق عن الدراسات التي تناولت المدونة مدار الدراسة، لن نحظ حسب علمنا واطلاعنا بدراسة علمية تناولت نص المروني بالدرس والتحليل والنقد. وهذا يؤكّد أنّ هذا الجنس من الكتابة في اليمن لا يزال بعيداً عن متناول الباحثين؛ لأسباب كثيرة لا داعي هنا لذكرها. ولهذا السبب وغيره ارتأينا أن ننظر في بعض الدراسات العربية التي طرقت موضوعنا من قريب أو بعيد. وسنحاول أن نورد الدراسة وإشكالياتها، وبعض ما توصلت إليه من نتائج، لكي نبرز موقع دراستنا من تلك الدراسات، وخاصة الزاوية البحثية التي سندرسها، ومن تلك الدراسات الآتي:

1. جليلة الطريطر. (2008). "كتابة الذّات في السيرة الذاتية وتجلّياتها لدى لطيفة الزيات ونوال السعداوي". ترى الكاتبة أنّ "علاقة الذات بالفعل الكتابي في مجال الكتابة الذاتية الحميمة علاقة مشكلية معقّدة إلى أبعد الحدود؛ لأنّها تستند إلى مواضعة أجناسية دقيقة تفترض ضمنيًّا إمكانية اصطلاح النص ا لمكتوب بوظيفة الإحالة التاريخية المباشرة على حياة كاتبه كما كانت في الواقع، إحالة النسخة الأمينة على أصلها المفترض" (الطريطر، 2008: 162). وتطرح الكاتبة تساؤلات منها: ما المقصود بكتابة الذات في السيرة الذاتية خاصة؟ وكيف يمكن أن نقرأ أو نفكّك مختلف الآليات المتكلّمة في إنتاج المشروع السيرذاتي انطلاقًا من استقراء أوجه الاشتباك ومستويات التفاعل بين طرفيه الأساسيين: وهما، الذات بوصفها تحيل على وجود تاريخي متحول من جهة، واللغة بوصفها مؤسسة اجتماعية وثقافية من جهة ثانية؟

وتوصّلت الكاتبة إلى أنّ مقاربتها تندرج في سياقين: نقدي وإبستمولوجي. فأما السياق النقدي فيفتح الدراسة على "الواقع التاريخي الذي يعتبر عمدة الإحالة في السيرة الذاتية".(الطريطر، 2008: 183). وأما السياق الإبستمولوجي فتؤكد الكاتبة على "قضايا الحقيقة" التي تمثّل خيطًا رفيعا يشدّها بالسيرة الذاتية من الناحية الإبستمولوجية، إلى مشكلية "الحقيقة التاريخية" عامة بوصفها تتجلّى في بنية سردية، ويكيّفها واقع الكتابة إلى حدّ بعيد. ولكي تكون دراسة السّيرة الذاتية ناجعة حدّ عبارة الكاتبة، لا بدّ من تجاوزها المقاربات البنيوية إلى الإحالات المرجعيَّة.

2. محمد نجيب العمامي. (2017). "الذاتية في الخطاب السردي". يسعى الكتاب إلى دراسة الذاتية في الخطاب القصصي من محورين: الأول نظري، والثاني تطبيقي، وقد قسم الكاتب كتابه إلى ثلاثة فصول: الأول منها، الذّات مدركة: مفهوم وجهة النظر في السرديات الـ تلفظية تصوّر ألان راباتال أنموذجًا. أمّا الفصل الثاني فهو، الذات مساجلة: السّجال في

نماذج من رواية الثمانينات في تونس . وأما الفصل الثالث فهو، الذات المحاجة: المتكلّم في ألف ليلة وليلة "حكاية الحمال والبنات" أنموذجا.

وتوصّلت الدراسة إلى "انشداد الفصو ل الثلاثة بعضها إلى بعض. فالذات حاضرة فيها جميعا بفضل ما تتركه في خطابها من آثار، وبفضل دورها في الصراع الذي هو خاصية كل عمل قصصي[...] سواء كان هذا الصراع ظاهرا معلنا أو خفيًّا مقنعا، وسواء أكان دائما متواصلاً أم ظرفيًّا متقطّعا. وهي حاضرة أيضا بفضل دورها في توجيه القراءة، وفي حثّ القارئ على الاجتهاد والتأويل والمشاركة في إنتاج المعاني". (العمامي، 2017: 188- 189).

3. نور الدين بنخود. (2011). "الذاتية في بعض أجناس النثر العربي القديم". سعت الدراسة إلى أن تكون مساهمة في الحوار الدائر بين بعض البا حثين حول الذاتية في النثر العربي القديم، ومدى اتّصال النص بحياة المؤلف ووجدانه. وقد حاولنا بيان ذلك من خلال الإنصات إلى صوت الذات الكاتبة. من خلال ثلاثة نصوص عربية قديمة. النص الأول من جنس الرحلة وهو رحلة ابن جبير (ت 614 هـ)، والثاني من جنس السيرة، وهو سيرة صلاح الدين الأيوبي التي كتبها ابن شداد (ت 632 هـ)، والنص الثالث من السيرة الذاتية، وهو كتاب "الفهرسة" للمتصوف المغربي ابن عجيبة (ت 1224هـ).

وتوصّلت الدراسة إلى أنّ "الذاتية لا تطلب في السيرة الذاتية وحدها، وإنّما تطلب أيضا في أجناس سردية أخرى مثل: الرحلة والسيرة، بل إنّ أدبية هذه النصوص من حيث أساليب القول، وصيغ السرد، وطرائق البناء، ليست منفصلة عن مقوّمين جوهريين فيها. أمّا الأوّل فهو قوة الإحالة المرجعيّة باعتبار ما لهذه النصوص من صلات بالتاريخ العام والتاريخ الشخصي للكاتب. وأما الثاني، فهو نزعة التحدث عن النفس، وتصوير الذات في مختلَف تجاربها، والكشف عن هواجسها وانفعالاتها ورؤاها". (بنخود، 2011: 115).

موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة:

نظرت الدراسات السابقة في أجناس عدّة منها: السيرة الذاتية، والسيرة، وأدب الرحلة، والرواية. وقد اهتمت الطريطر في دراستها بالإحالة المرجعية للنصوص المدروسة باحثة عن الحقيقة ا لتاريخية التي رأت أنّ الوصول إليها لم يكن من خلال التحليل البنيوي، وإنّما من خلال المقاربة النقدية والإبستمولوجية. وقد أكّدت دراسة العمامي الذاتية في الخطاب السردي التخييلي، ونظرت في ثلاث ذوات في نصوص مختلفة، وهي الذات المدركة، والذات المساجلة، والذات المحاجة. وأكّدت أنّ الذات مهما كان حظّها تترك آثارا في خطابها. أما دراسة بنخود فهي تؤكّد أيضا أنّ الذاتية تظهر في النصوص من خلال أساليب القول، وطرائق السرد، ولها مقومان هما: الإحالة المرجعية على التاريخ العام والشخصي، ونزعة الكاتب للتحدث عن نفسه وتصوير ذاته وانفعالاته.

وإذا كانت النصوص في الدراسات السابقة قد تنوعت وتعدّدت، فإنّنا نفترض أنّ نص المروني هو نص في المذكّرات، له خصوصيته، إذ إنه يضطرب فيه التجنيس، وكذلك الذات الكاتبة فتغدو ذواتا. ومن هنا ارتأينا أن ننظر فيه من زاويتين أساسيتين: أ ولاها: من حيث التجنيس، أي ضبط حدود الجنس السردي الذي ينتمي إليه نص المروني. وثانيتها: أشكال الذات وتشظّيها، من الحديث عن الذات الكاتبة إلى كتابة الذوات المتشظّية. ولتتبع الذات الكاتبة في خطابها، ورصد الذوات المتشظية عنها كان لا بدّ من التوسل بالمقاربة الموضوعاتية التي ترصد صورة الذات الكاتبة المهيمنة والمرتسمة داخل

النص، ومقاصد الكتابة ومقتضياتها. وهذا ما نروم إليه في هذا الدراسة، وهي زاوية النظر التي لم تنتبه إليها الدراسات السابقة، أو لم تكن من مشاغلها البحثية وهواجسها.

تخطيط الدراسة: ارتأينا أن نقسّم الدراسة إلى مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: التّجنيس: ضبط حدود الجنس السردي وإبراز معالمه.

أ. الإطار النظري والمفاهيمي:

1. الذّات:

جاء في "معجم مصطلحات نقد الرواية" أنّ "صورة الذات هي صورتنا حين ننظر إلى أنفسنا، والتي تعجز عن بلوغها من غير استخدام وسيلة مادية: (رسم، تصوير، وصف داخلي، أو خارجي). انتقل هذا المصطلح من فن الرسم، إلى فن التصوير منذ القرن التاسع عشر، ومنه إلى الأدب. وتتميز صورة الذات بصعوبتها، إذ ليس من السهل على الفنان، رساما كان أو مصورا أو كاتبا، أن يحصر ذاته في إطار، وأن ينظر إلى نفسه من زاوية محدودة".(لطيف زيتوني، 2002: 118). ومن العسير أيضا حصر تجارب الكاتب العامة والخاصة في ذات واحدة. ومن ثم كتابتها، ومن هنا كان تنوع الذات في الكتابة متأتّيا من تنوع التّجارب، ومن زوايا النظر المختلفة التي يطرقها الكاتب أثناء الكتابة. "فتصوير الذات في الأدب يجري غالبا من خلال المتخيل. فهناك تتراءى الذات مكبرة مرات، أو مشتتة تحتاج إلى إعادة تشكيل وتهذيب، أو ممتدة في الماضي وملتصقة بأحداث، وصور، ومشاعر، وذكرى، أو مثقلة بروح النقمة وأجواء الموت والأحلام المطعونة.[...] [و]تصوير الذات يتسع دائما لتقديم رؤية ذاتية للعالم قد تتزين بخيوط اللاوعي والخيال إلى حدّ تحويل صورة الذات، ظاهرها، إلى نقيضها".(لطيف زيتوني، 2002: 118). إن إعادة كتابة الذات لا يكون إلا عبر الذاكرة، إذ لا يمكن للكاتب الإلمام بذاته أثناء الكتابة؛ لكونها ذوات تحتاج إلى إعادة تنسيق وترتيب وتشكيل؛ لأنها مشتتة ومتشظّية. بل قد تصل أحيانا إلى حدّ التناقض والاختلاف، نتيجة لاختلاف التّجارب التي عاشها الكاتب، والتحولات التي مر بها في حياته. وما يميز صورة الذات هو "أنّها صورة الحاضر لا الماضي [...] [و] القاعدة الأساسية لتصوير الذات: هي لن أروي لكم ما فعلت (سيرة ذاتية). بل سأقول لكم من أنا (عرض للذات)". (لطيف زيتوني، 2002: 118). أي أنه لا يتحدّث عن ذاته، وإنّما يكتبها. وكتابة الذات: "تعني أساسا أنّ الذات الخاصة الخارجية حين تتحول إلى ذات كاتبة مترسلة تطرأ عليها تحولات، وتخضع لشروط الكتابة بما هي كتابة رمزية، وامتداد للكتابة الإبداعية. بل بما هي جزء من مشروع ثقافي طموح يتمثل في تحديث الكتابة، والخروج عن البلاغة الكلاسيكية، وإعادة نحت مفهوم جديد للذات، قد يكون جزء منه مستمدًّا من التجربة الذاتية (المرض- العزلة- الغربة...) ومن الانتماء الأدبي". (شفيع بالزين، 2025: 361). وقد أوردت نرجس باديس تعريفا للذاتية نقلا عن "بنفنيست"، يقول إنّ الذاتية هي "قدرة المتكلّم على أن يضع نفسه موضوعا". (نرجس باديس، 2018: 59). وتشير الكاتبة أيضا إلى مفهوم "التملّك" وهو "المفهوم الإجرائي الذي بواسطته تتحقق الذاتية في مستوى الخطاب. وهذا التملك لا يتجلى فقط بالتلفّظ بـ "أنا" أو ما تعلّق بها، بل في امتلاك المتكلّم للغة كلّها في جميع أشكالها بمجرد إيقاعه لعمل التلفّظ. وهو ما يؤسس لسمة الشمولية، أو الإطلاق التي أسست لمفهوم التجذّر".(نرجس باديس، 2018: 100).

وترى الكاتبة أنّه في "اللغة وباللغة ينشئ الإنسان نفسه ذاتاً وكياناً له وجود. فباللغة تتحقّق كينونته، وتثبت ذاتيته". (نرجس باديس، 2018: 101). ومن ثم ، فإنّ "كل ما يحيل على المتكلّم المنجز للقول، ويعبر عن حضوره فيه بوصفه ذاتاً أو متكلّما فاعلاً أو موجها له نحو حكم ذاتي، أو موقف شخصي، أو مشاعر خاصة يعدّ مظهرا من مظاهر الذاتي[...] يضاف إلى ذلك جميع العبارات التقويمية والصفات والأحكام والأفعال الذاتية، وأفعال الرأي والعبارات الدالة على الجهة". (شفيع بالزين، 2025: 339). وقد يتجاوز الكاتب المظاهر الشكلية لحضور الذات في الكتابة إلى مظاهر أبعد قد تصل إلى حدّ الإعجاب بالذات أو الانغماس فيها. ويؤكّد ذلك "هيبيلر Hebeler" من أنّ الكتابة قد "تصل إلى شيء أكثر قليلاً من مجرد التعبير عن النرجسية المفرطة إلى الانغماس في الذات" (Hebeler, 2017 :10).

إنّنا نقصد بـ"الذات" في عنوان الدراسة هي الذّات المرتسمة في خطاب الكاتب، وهي صورة الكاتب داخل نصه. أما "التجنيس" فنقصد به الجنس السردي الذي ينتمي إليه نص المروي. وقصدنا أيضا بـ "التشظي" انقسام الذات الكاتبة وتمزقها إلى ذوات عدّة. وأنّ من معاني التشظي : (التفتت، والتفرق، والتشتت، والتبعثر، والتشقق). وقد ذكرنا في الدراسة لفظة "التّشقّق" وقصدنا بها انشقاق الذات الكاتبة إلى أجزاء عديدة، وكلّ جزء، إنّما هو ذات تحكي قصتها، ومعاناتها. وعليه، فإنّنا نَبحث في نص المروي عن الذّات المرتسمة في خطابه، كيف تجلّت؟ وما الصور التي ظهرت عليها؟ وكيف حاول الكاتب كتابتها؟. فالذاتية تتجلّى في اللغة، وفي طرائق تشكيل النص، وضمائر المتكلّم، وفي كل ما يحيل إلى الذات الكاتبة، وكذلك في الأحكام الذاتية، والانفعالية، والإيديولوجية، والانطباعية، والأخلاقية وغير ذلك. ولما كنّا قد طرحنا إشكالية تجنيس النص، وإلى أي جنس ينتمي، كان لا بدّ من النظر في مفهومي السيرة الذاتية والمذكّرات. وقد أوردنا لهما بعض التعريفات للاستعانة بهما في معرفة الفروقات الدقيقة التي تسهم في تبين هذا الجنس السردي من ذاك.

2. السّيرة الذاتيّة:

السيرة الذاتية هي "نص سردي يتميز عن الرواية المروية بضمير المتكلّم بأنّه لا يقدّم متخيلاً وهميًّا. بل يعرض الأحداث الحقيقية التي وقعت للكاتب. ولا شكّ في أنّ الصورة التي تقدّمها السيرة الذاتية قد تختلف عن حياة الكاتب في الواقع، إما بسبب عجز الذاكرة عن إعادة تكوين الحدث الماضي، وإما بسبب الرغبة في تجميل الحقيقة أو تعتيمها[...] وتقدّم كشفاً عن حياة مكتملة تقريبا[...]. وهي وسيلة مختارة لمعرفة الذّات". (لطيف زيتوني، 2002: 111). إنّ اختلاف الصّورة التي يقدّمها الكاتب عن حياته متولّدة عن عجز الذاكرة عن استرجاع الماضي. ولذلك فهي، فهي تخلق صورا جديدة. بل إنّها تقوم بإعادة خلق الماضي، وخلق الذات التي كانت عليها بصور شتى قد تصل إلى حدّ التناقض والاختلاف تماشيا مع المتغيرات التي عاشتها الذات الكاتبة، في تاريخها العام والشخصي. وتسعى السيرة الذاتية إلى الحفر في أعماق الذات الكاتبة؛ لمحاولة فهمها، ومعرفتها من خلال إعادة كتابتها. ويعرف فيليب لجون Philippe Lejeune" " السيرة الذاتية بأنّها: "حكي استيعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركّز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته". (لوجون، 1994: 8). إنّ لجون يركّز في تعريفه على أنّ الذات الكاتبة هي ذات واقعية، تكتب ذاتها، ووجودها الخاص، والفردي، والحميمي والشخصي عبر الذاكرة. وهذا يقتضي من الذات الكاتبة أن تتبع كتابة ذاتها عبر مراحلها المختلفة من الطفولة والمراهقة والشّباب والشّيخوخة إلى زمن الكتابة، وتهتم أساسا بمغامراتها الذاتية الخاصة والحميمة، دون الحديث عن قضايا الشأن العام والتاريخ العام.

والسيرة الذاتية هي "خطاب إحالي لا يكتفي بالإحالة على ذاته وأنساق تشكّله وانتظام مكوناته النّصية، وإنّما يحيل على عالم مرجعي يحتضن التجربة المعيشة التي يسعى المترجم لذاته إلى استعادتها وتشكيلها خطابيا". (بن البحري، 2024: 251). فالعالم المرجعي الذي عاشت فيه الذات الكاتبة هو الذي اقتضى نمطًا معينًا من الكتابة؛ لكونه مخبر التجارب الحياتية الذي شكّل الذات الكاتبة، نتيجة للمتغيرات السياسية والا جتماعية، وتنوع التّجارب، وذكريات الماضي خاصّة الأليمة منها، لما تترك في الذاكرة من جراحات من العسير نسيانها. ومن ثم، تظهر تلك التجارب في الكتابة على شكل ذوات، كل ذات لَها حكاية.

3. الذكريات والمذكّرات:

يعدّ نص المروني أقرب إلى جنس المذكّرات لما له من علاقة بما هو ذاتي وبما هو عام وتاريخي. ولهذا كان لا بدّ من الإشارة إلى مفهوم المذكّرات في علاقة بالأجناس الأخرى. وقبل الحديث عن المذكّرات كان لا بدّ من الإشارة إلى مصطلح "الذكريات" بصفته تردّد كثيرا في عتبات نصّ المروني، وخاصّة في مقدّمته الذاتيّة، وفيما ذهب إليه بعض ممّن قدّموا النص، أمثال: المقالح، وأحمد جابر عفيف، وكذلك في الإهداء. فما المقصَود بالذكريات؟ وما مدى حضور هذا المصطلح في نظرية الأجناس الأدبيّة وعند المنظّرين في هذا الجنس من الكتابة أو ذاك. ورد مصطلح الذكريات عند إيف ستالوني، إذ جعله في مرتبة قريبة من المذكّرات، يقول: "وغير بعيد عن المذكّرات تقع "الذكريات" وهي بخلاف الأولى، لا ترغب في قول كل شيء، بل تنتقي من ماضي محررها". (ستالوني، 2014: 216). ثم يورد قولًا تاليا له يقول فيه: "من يكتب مذكّراته يقبل الانتقاء والحذف والإغفال". (ستالوني، 2014: 216). أمّا عن المذكّرات فيقول هي جنس "فرعي قريب من السيرة الذاتية، ويمكن تصنيفه [...] في الجنس التاريخي. لا يعنى المؤلف بتصويرَ أناه، بل بحكاية الحوادث التي عاشها". (ستالوني، 2014: 215). ويقول أيضا إنّه: "ليس بنادر أن يرغب صاحب المذكّرات في استكشاف مواطن الحميمية إمّا تفسيرا لاستعداده الشّخصي من خلال حكاية طفولة مصيرها مقدّر سلفًا، وإمّا تبريرا لاختياراته في حالات الخطورة. وبذلك تقترب المذكّرات من السيرة الذاتية شأن مذكّرات وراء القبر لشاتوبريان".(ستالوني، 2014: 216). إنّ هذا الشاهد يؤكّد أنّ المذكّرات قد يتجلّى فيها ما هو ذاتي وحميمي. ولذلك تقترب من السيرة الذاتية، ولا يعني الاقتراب فقدانها لهوية جنس المذكّرات، وإنّما تحافظ على بعض خصائصه، بالإضافة إلى بعض خصائص جنس السيرة الذاتية.

وقد جاء في "معجم السرديات" أنّ المذكّرات: "جنس من أجناس القص المرجعي الوقائعي، إذ يفترض أنّها تقول ما حدث فعلًا وتزعم الصدق والدّقّة ضمن ميثاق مرجعي معلن منذ العنوان أو في الفاتحة. [...] ولما كانت المذكّرات تعني منذ البداية جنسا جامعا من الكتابة بدرجات متفاوتة بين السرد التاريخي الوقائعي وسرد جوانب من قصة الحياة الذاتية، فقد كتبت نصوص من السيرة الذاتية في الآداب الأوروبية حتى منتصف القرن العشرين الميلادي تحت عنوان المذكّرات". (محمّد القاضي وآخرون، 2010: 380). وقد أكّد هذا المفهوم أنّ المذكّرات هي جنس من أجناس السرد الذاتي، يتفاوت فيه ا لسرد التاريخي والسرد الذاتي. بل إنّ معظم النصوص في هذا الجنس من الكتابة تتداخل فيها الذات الشّخصية والذات التاريخية، أي أنّ الذات الكاتبة تتجلّى في سياقات من السرد في خضم الحديث عن ما هو تاريخي وسياسي وعسكري أيضا. وقد تتداخل خصائص جنس المذكّرات با لسيرة الذاتية فيصبح من العسير الفصل بينهما. وفي هذا السّياق يؤكّد جورج ماي مسألة التّداخل بينهما قائلًا: "إنه ليندر ألّا يُقحم مؤلّف المذكّرات نفسه من حين إلى آخر فيما يكتب، وبذلك يغدو، دون قصد منه أحيانا، مؤلّف سيرة ذاتية. وكذلك الشأن بالنسبة إلى مؤلّف السيرة الذاتية، إذ يندر

ألّا تطفو على سطح ذاكرته الأحداث العامة التي كان عاشها، بحيث يضطلع أحياناً فيما يكتب بدور المدون لتلك الأحداث، وإن لم يكن ذلك منه تعمداً". (جورج ماي، 2017: 191- 192).

ويورد "معجم مصطلحات نقد الرواية" قولًا مفاده أنّ المذكّرات هي "سيرة ذاتية في الغالب، تنقل تجارب الماضي المعاشة إلى الناشئة، وتعتمد نظرة توليفية للأحداث تسمح بإعادة ترتيب الوقائع بما يوافق رغبة الكاتب، (الرغبة في تعويض النقص، أو الانتقام، أو طمس الحقيقة". (لطيف زيتوني، 2002: 146). ولعل زيتوني قصد فيما ذهب إليه من أنّ المذكّرات هي سيرة ذاتية في الغالب، تداخل الجنسان في بعض الخصائص المشتركة بينهما، حتى يصبح أحيانا الفصل بينهما عسيرا. لكنّه استدرك، وأشار إلى بعض الخصائص التي ينفرد بها جنس المذكّرات عن غيره ومنها: النظرة التوليفية للأحداث، وترتيبها وفق رغبة الكاتب، واستراتيجيته في الكتابة، وهذه الرغبة قد تبرز بعض الأحداث المتّصلة بالذات الكاتبة؛ لرغبة تمجيدية، وسدّ عقدة نقص لديها. وقد تكون الأحداث تحمل طابعا انتقاميًّا؛ لكون المذكّرات متّصلة بأحداث الشأن العام السياسية والعسكرية. وقد تكون تخفي حقائق من التاريخ وطمسها. وكذلك نجد خصائص أخرى متّصلة بـ "الانتقائية وإعادة الترتيب [...] [و] مسألة الصدق". (زيتوني، 2002: 146). ولا يمكن لكاتب المذكّرات أن يورد كل الأحداث التي عاشها، وإنّما ينتقي منها ما يراه موافقًا لاستراتيجيته في الكتابة ولمقاصدها ومقتضياتها. وقد ظهرت المذكّرات "تلبية لرغبة بعض الرجالات في تدوين الأحداث التي شهدوها، أو شاركوا في صنعها. وقد اختلط في هذه الكتابات الوجه التاريخي، بالوجه الشخصي؛ نتيجة تدخل الكاتب في اختيار الأحداث وفي تفسيرها". (زيتوني، 2002: 146).

ويقول زيتوني أيضاً: "لا تتطلّع المذكّرات إلى سَبْر الذات، ولا تقصر اهتمامها على الأنا الخاصّة، بل تصْرف اهتمامها غالبا نحو القيم المعنوية والأدبية أو السيَاسية". (زيتوني، 2002: 146). فهل هي كذلك؟ إنّ الكاتب قد أشار إلى أنّ المذكّرات "قد تصرف اهتمامها غا لبا" وهذا يعني أن بعض المذكّرات تحفر في الذات في علاقة بالعام والتاريخي والسياسي أيضا. هذا الرأي بحاجة إلى تدقيق وتفحيص؛ لأنّ الخصائص النصية والسردية لبعض النصوص تخالفه، إذ لا يكون هذا الحكم عاما وشاملًا للنصوص كلّها ، وإنّما قد ينطبق على بعض النصوص د ون غيرها. وعليه، فإنّنا من خلال النظر والتدقيق في نص المروني، تبينا أنه نص في المذكّرات، وأنه يتمرد على ما ذهب إليه زيتوني في الشاهد السابق. بل إنّ الذات الكاتبة فيه تتجلّى في أشكال مختلفة على الرغم من أن مدار المروي في النص هو الشأن العام. فالذات الكاتبة التي تعرضت إلى صدمات سياسية في سجون الإمام، وإلى احتجاز ومراقبة لسنة وأشهر في القاهرة بعد نكسة 1967م تشظّت إلى ذوات عديدة، وبرزت من خلال حديث الكاتب عن الشأن العام، وعن أحداث التاريخ. ولذلك، لا يمكن تعريف المصطلحات- خاصة الإشكالية منها- بتلك الصرا مة المنهجية إلا بعد استقراء كل ما كُتب في المذكّرات، ومن ثم التدقيق في خصائصها النصية، وفي تفاوت كل نص من الآخر، ومن ثم يمكن الحديث عن مفهوم المذكّرات بدرجات نسبية دون الجزم بخلوها من الذات، أو أنّها لا تتطلّع إليها؛ لأنّ بعض النصوص -كما أسلفنا- تتمرد على ما أشار إليه زيتوني وغيره من الكُتّاب، ومنها نصنا مدار الدراسة. ولتأكيد ما ذهبنا إليه يعود الكاتب فيقول إنّ: "المذكّرات بقيت قصص التذكّر الشخصي التي تتوسط الوثيقة التاريخية والأدب، بين تقديم المعرفة، أو ترك القلم يرود ["يذهب ويجيء" أو "يطوف ويتجول"] داخل القلب وفي دنيا التجارب الذاتية". (زيتوني، 2002: 146). فماذا يعني أن يترك القلم في المذكّرات يطوف ويتجول داخل القلب، وفي دنيا التجارب الذاتية؟ إن كاتب المذكّرات يكتب تجربة فردية عاشها في علاقة

بما هو عام وجمعي، ولا تخلو من تجارب ذاتية. بل إنّ الـ ـذات الكاتبة قد تتشظّى إلى ذوات، وكل ذات تروي تجربتها، وما يؤكّد التشظّي هو أنّ الأحداث انتقائية، والانتقاء هو التنقّل بين الأحداث واختيار ما يراه مناسبا، ولكل حدث ذات عاشته وترويه. بل إنّها تركّز على الأحداث التي تشكّل تحولا في حياتها، فكل حدث قادح في النص خلفه ذات لها حكاية. فانتقائية الأحداث تؤكّد أنّ الذات أجزاء، وليست واحدة في المذكّرات، وفي هذا السياق يؤكّد " ك.شريكاروناكاران" أنّ أهم ما يميز المذكّرات هي: "تجزئة الذات نصيًّا[...][و] إضفاء طابع خيالي على التاريخ، وتعكس ذوات الكُتّاب الذين يتعهدون بكتابتها[...] وتحاول أن تكون انتقائية فيما تصوره. [...] وتدمج بين الحقيقة والخيال [...] [وهي]أقرب إلى الواقع من خلال سعيها للاقتراب منه عبر إضفاء طابع أسطوري على التاريخ" (K.Shrikarunaakaran, 2018: 251). ولهذا لا دور للذات، ولا معنى لها إلا من خلال طرائق السرد، وتسلسل الأحداث؛ لأنّها بهما تتشكّل، وتتعدّد، وتكتسب هويتها الذاتية. بل إنّ الأحداث تبرز تشظّيها، من خلال المواقف، والتّجارب الحياتية المختلفة.

ب. النص بين ضبابية التجنيس ومحدودية الرؤية

تفصح بعض النصوص السردية بهويتها الأجناسية منذ العنوان، وتعلن عن ذلك صراحة وبوعي. بل إنّها تكون وفية للعقد القرائي الذي عقده الكاتب مع قارئه. غير أنّ بعض النصوص تخاتل قارئها عن جنسها الذي تنتمي إليه، وتراوغه أيضا؛ لغرض الإيهام، أو لعدم الوعي الكافي بخصائص النص المكتوب فيه، فيلتبس بأجناس أخرى، ويحمل بعض خصائصها. بل إنّ بعض النصوص تتميز بضبابية تجنيسها، ومحدودية رؤية كاتبها فيما يكتب، وبقلّة خبرته الأجناسية التي تتجلّى واضحا في عتباتها ومتونها. ولما كنّا ندرس أشكال كتابة الذات، فلا بدّ من معرفة الجنس الذي سننظر في خصائص الكتابة فيه، وتحولاته، وما مدى تأثير ذلك في الذات في علاقتها بعملها في الشأن العام في مراحلها المختلفة. فهل نص المروني يدخل ضمن النصوص التي تراوغ قارئها، ويشترك في سمات عدّة مع أجناس أخرى؟ وإلى أي جنس سردي ينتمي. أإلى كتابة الذات عامة، أم إلى جنس مخصوص، ويتمتّع بهـ ـوية أجناسية مخصوصة أيضا؟ أم أنّ ضبابية الوعي الأجناسي لدى الكاتب قد أفقدت النص هويته الانتمائية فأصبح جنسا جامعا لأجناس من السرد الذاتي؟ ولكي نتبين ذلك، كان لا بدّ من التحديد الأجناسي للنص، ومدى تقاطعه مع أجناس من السرد أخرى على صلة بالدائرة الأجناسية الكبرى "أدب الذات".

إنّنا سنحاول أن نتبين موقع النص الأجناسي من خلال الوقوف على بعض المحددات الموضوعاتية في النص. وهي المواطن التي يمكن أن نعدّها مفاتيح للنص، ومن خلالها تظهر بعض الدلالات التي يمكن أن نسميها وعيا بهذا الجنس من الكتابة أ و ذاك. وإذا كان النصّ هو الموجّه الأساس للتلقّي، وفيه تكمن معالم الجنس السردي، وخصائصه التي يمتاز بها عن غيره من النصوص، فإنّ عتبات النصوص هي الأخرى تعدّ المسالك الأولى التي تعطي للقارئ تصورا مخصوصا تجاه النص وجنسه وعوالمه، وضبابية الرؤية فيه من عدمـ ـها. فلا يمكن أن تكون العناوين الرئيسة، والإهداء، والمقدّمات، وخطاب تشكيل النص اعتباطية، ودون قصدية من الكاتب. فالعتبات هي بمثابة مفاتيح تتيح للقراء استكشافَ ما لم يصرح به الكاتب تصريحا مباشرا، أو ما التبس عليه في النص. إنّنا نسعى في هذا المبحث إلى النظر في عتبات النص بصفتها موضوعات معبرة عن مظانها، ونحاول من خلالها أن نستشفّ التحديد الأجناسي للنصّ، وإلى أي حدٍّ يمكن أن يكون النص ضبابيا ورؤيته في التجنيس محدودة من عدمهما.

1. العنوان الرئيس بصفته عقداً قرائيا بين الكاتب وقارئه

إنّ القارئ المتأمل في نص المروني[1] "الخروج من النفق المظلم: معالم سيرة ذاتية" يدرك أنه يحمل عنوانين اثنين: أحدهما رئيس وهو "الخروج من النفق المظلم"، والآخر ثانوي وهو "معالم سيرة ذاتية". وأنّ الجزء الأول من العنوان يحيلنا إلى قضايا الشأن العام السياسي والوطني، وإلى مرحلة محددة أرادها الكاتب. فأي نفق مظلم يقصد، وأي خروج يسعى إليه. فإذا ما علمنا أنّ النص هو وليد مرحلة سياسية شارك فيها الكاتب، وكان فاعلاً سياسيًّا من فواعلها. بل إنّها تجربته في مرحلة عمله قبل ثورة 1962 م وبعدها طالبا ومدرسا وسياسيًّا ودبلوماسيًّا وغير ذلك من المناصب التي شغلها. ولعلّه يقصد بالنفق المظلم الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي قبل ثورة سبتمبر 1962 م. وقد كانت بالنسبة إليه خروجا من وضع إلى آخر؛ لأنّ لفظة الخروج من مأزق ما يعني الخلاص منه، فما بعد الظلمة إلا النور والحياة. وكل ذلك يؤكّد أنّ النص هو في الشأن السياسي والتاريخي والاجتماعي، ولهذا فهو أقرب إلى المذكّرات.

أما الجزء الثاني من العنوان: "معالم سيرة ذاتية"، فإنّه قد أحدث إرباكًا في التّجنيس، ولا ندري أهو الكاتب واضع هذا العنوان، أم غيره وخاصة الناشر؟ وهل يقصد أنّ نصه في السيرة الذاتية، أم أنّه لا يخلو من خصائص هذا الجنس من الكتابة؟ ومن ثم يتداخل ما هو تاريخي وسياسي عام، بما هو ذاتي وعائلي وخاص. إنّ السيرة الذاتية هي جنس قائم بذاته، وله ما يميزه عن كتابة المذكّرات، وإن كان هناك بعض التداخل، فإنّه لا يمكن أن يلغي قيمة هذا النص من ذاك. فالنصوص تتداخل، وكذلك الأجناس، لكن هناك محددات عامة ثاوية في النص، ومعالم قارة هما الموجهان للنص، والمحددان لجنسه، وإن التبس جنس ما بخصائص الجنس الآخر، أو اقترب منه، فهذا لا يعني أنه هو، وإنّما نقول إنّه اشترك معه ببعض خصائصه؛ نظرا إلى تقاربهما، وأنهما من الدائرة الأجناسية نفسها. ولئن كان العنوان في نص المروني مراوغًا ومخاتلاً وضبابيًّا، فهل الإهداء سيكشف لنا ما خبأه العنوان من مقاصد الكاتب، ومقتضيات الكتابة والتّجنيس.

2. خطاب الإهداء: تصريح بجنس الكتابة أم اعتراف بصنيع الأصدقاء؟

ولئن كان العنوان بشقيه الرئيس والفرعي لم يصرح بطريقة مباشرة بجنس النص، فإنّ الإهداء قد أعلن أنه ذكريات الكاتب، وهو من وضع الكاتب كما يبدو. ويؤكّد الإهداء أنّ النص هو "ذكريات" الكاتب، إذ أهداه إلى أصدقائه الذين ألحوا عليه إلحاحا أن يكتبها. ممّا يتّضح لنا أنّ من أسباب دوافع التأليف في هذا الجنس من الكتابة هم الأصدقاء الذين رأوا أن للكاتب تجربة تستحق الكتابة؛ لأنّها ستفيد الأجيال في المستقبل بصفتها ذكرى. وعليه، كان الإهداء موجها إليهم، وكاشفا عن جنس النص، يقول: "إلى الأصدقاء الذين ألحوا علي في كتابة هذه الذكريات أهديها إليهم". (المروني،2001: 4). فهو يصرح بالتجنيس أولًا، ويعترف بصنيع الأصدقاء ثانيا.

3. خطاب المقدّمات: اضطراب اصطلاحي أم ضبابيّة في الوعي

نقصد به الخطابات التي قدّم بها أصحابها نص المروني؛ لما بينهم وبينه من علاقات صداقة ونضال. وسنورد المقدّمات من زاوية علاقتها بالتحديد الأجناسي للنصّ، وبعنوانه، ومدى وعي مقدّمي النصّ بالجنس الذي ينتمي إليه.

[1] أحمد حسين المروني ولد في صنعاء عام 1920م، وهو أديب وسياسي يمني، تقلّد مناصب كثيرة، في وزارة الإعلام وفي الخارجية. ومن أبرز مؤلفاته: "الخروج من النفق المظلم: معالم سيرة ذاتية". توفي عام 2001م.

أ. عبد السلام صبرة: المروني الجوهرة المضيئة:

افتتح عبد السلّام صبرة مقدّمته ببيت شعر وهو من [الخفيف]:

"شُعْلَةُ النَّفْسِ لا تَصِير رَمَادًا ضَوؤها خَالِدٌ عَلَى الأَزْمَانِ"

ثمّ قدّم أوصافًا عديدة للمروني، لعلّ أبرزها أنّه "كان مناضلًا وطنيًّا في كل المراحل التي مرت بها اليمن قبل الثورة، وظل وفيًّا ومخلصا وصادقًا وزاهدًا ومتجردا عن كل الأهواء والرزايا" (المروني،2001: 5). وكذلك ارتباطه الوثيق بقضايا وطنه وإيمانه بها. وقد كانت تلك الأوصاف تبريرا؛ لتسميته المروني "بالجوهرة المضيئة". وقد عدّه قيمة عظيمة تحتل أكبر مكانة في تاريخ الحركة الوطنية، ومع رجالاتها الأبرار، وقد ساهم أعظم مساهمة بما بذل من الجهود الصادقة والمخلصة في صنع أجيال متلاحقة من المناضلين والثوار والمثقفين الوطنيين الذين أقاموا بناء اليمن الجديد، وما يزالون يواصلون بناءه حتى اليوم" (المروني،2001 :5- 6).

ونجد صبرة يسمي نص المروني "بالكتاب" ويجزم بأنّه سيسدّ ثغرة في تاريخ الحركة الوطنية اليمنية، دون أن يشير إشارة مباشرة، وصريحة لموقع النصّ الأجناسي، أهو في السيرة الذاتية، أم هو في المذكّرات؟ لكنّنا نستشفّ مما قاله عن محتوى الكتاب، خاصة جملة: "أنه سيسد ثغرة في تاريخ الحركة الوطنية"، أنه أقرب إلى المذكّرات؛ لصلتها بالتاريخ، ولعلاقة الكاتب بالقضايا الوطنية وشغله فيها. ويؤكّد صبرة في سياق آخر من مقدّمته قائلا: "يسعدني كتابة هذه السطور في مقدمة هذا الكتاب الذي يروي للأجيال صفحات موجزة عن حياة هذا المناضل الكبير، وعن دوره في تربية الأجيال، ومنازلة الطغيان، و أستطيع الجزم بأنّ الكتاب كفيل بأن يسدّ ثغرة في المكتبة الوطنية، وفي تاريخ حركة النّضال اليمني ضدّ الطغاة والظالمين". (المروني،2001: 7). فهو يؤكّد أنّ النص هو تجربة الكاتب في مراحل عمله في النّضال، وفي تربية الأجيال، وكذلك في علاقته بالتاريخ، ويقصد تاريخ حركة الأحرار. وكل ذلك يؤكّد علاقة الكاتب في الشأن العام والتجربة الوطنية. وأنّ النصّ الذي صفاته كذلك، هو نصّ في المذكّرات؛ لأنّ نصّ المذكّرات يقتصر على مرحلة تجربة صاحبه في مراحل نضاله شاهدا وفاعلا سياسيًّا ومشاركا في الأحداث، بعكس كاتب السيرة الذاتية الذي يركّز على كل ما هو ذاتي وخاص منذ الولادة إلى تاريخ الكتابة، فهي كتابة مكتملة تحرص على الإلمام بحياة الكاتب وبهويته السردية. أما المذكّرات، فهي تركّز على مرحلة بعينها؛ لأنّها انتقائية. ومن ثم تتشظّى في بعض نصوصها الهوية السردية، نتيجة لتشظّي الذات الكاتبة إلى ذوات وهويات، ومراحل.

إنّ هذا كله، هو ما استشفيناه من قول عبد السلام صبرة بطريقة غير مباشرة. ولعلّه أيضا يرى أنّ هذا النص في تاريخ الحركة الوطنية. لكنّنا نرى أنّ هناك فرقًا بين كاتب المذكّرات وكاتب التاريخ، فكاتب المذكّرات يكتب أحداثًا شارك فيها، وكان فاعلًا من فواعلها، من زاوية نظره هو، ومن داخل التجربة، وهو شخصية اعتبارية ومشهورة. ومهما ادعى وزعم غير ذلك؛ فإنّ ما كتبه يبقى في إطار زاوية النظر الخاصة التي توجهها الانتماءات والإيديولوجيات السياسية والدينية. وبمعنى آخر، فـ إنّ كاتب المذكّرات غير متجرد من رواسب الإيديولوجيات التي توجه كتابته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. أما كاتب التاريخ، فيجب أن يكون بعيدا عن تجربة الكتابة؛ حرصا منه على تحقيق الموضوعية والحيادية فيما يكتب. وينبغي عليه أيضا أن تغيب الضمائر المحيلة على الذات الكاتبة للتاريخ، وكذلك التعليقات التي تحمل وجهة نظره الخاصة؛ لأنّ مصدرها ذاتي. ولئن كانت وجهة النظر الذاتية تتجلّى بطرق مختلفة في كتابة المذكّرات؛ فإنّها تختفي عند كتابة التاريخ تحريا للموضوعية في الكتابة.

ب. من الوعي بالكتابة إلى الكشف عن اضطراب التجنيس

إذا دققنا في تقديم عبد العزيز المقالح لنص المروني، ألفينا أنه قد أبان عن وعي بهذا النص من الكتابة، إذ وسمه بـ "المذكّرات أو الذكريات". (المروني،2001: 8). وعدّها قريبة من نفسه، أو أنّها جزء منه كما أنّه جزء منها. ويرى أنها انطوت على "وقفات وإشارات إلى زمن قاس لا ندري كيف عبرناه، ولا كيف خرج من تبقّى ممّن عايشوه على قيد الحياة سالمين لا يشتكون الجنون، أو فقدان الذاكرة". (المروني،2001: 8). وفي ذلك إشارة منه إلى علاقة تلك الأحداث بالشأن العام السياسي والاجتماعي آنذاك، وبالتجربة التي عاشها الـ كاتب، وحركة الأحرار، وكل من كان معهم في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الوطن في علاقة بالتاريخ ومتغيراته.

وفي سياق حديث المقالح عن أهمية ما كتب المروني يرد مصطلح "المذكّرات والذكريات" وكذلك "التاريخ الحي المباشر" والحقيقة والشّهادة، ونضال الشّعب من أجل وطنهم. وهذه المصطلحات التي أشار إليها المقالح تؤكّد علاقة النص بكاتبه، وبالشأن العام، وليس الخاص والذاتي، وهو ما يجعلنا نؤيد ما ذهب إليه المقالح في هذا التقديم من أنّ نص المروني هو شهادة على المرحلة التي عاشها في النّضال، وشارك فيها، وهو مذكّراته. يقول المقالح: "ويزيد من أهمية هذه الذكريات أو المذكّرات بالنسبة إلي، وسيكون ذلك بالنسبة إلى القارئ أيضا أنّها مكتوبة بكلمات تصل ببساطتها وعفويتها إلى قلب القارئ وتجعله يشعر بأنّه أمام التاريخ الحي مباشرة، وهو يتكلّم بلسان الحقيقة عن المئات من الذين قتلوا ظلما في ميادين الشّهادة [...] [و] في السجون" (المروني،2001: 8).

ويشير المقالح في تقديمه أيضا إلى أنّ القارئ قد يلاحظ أنّ ذكريات المروني تختزل الحديث عن مرحلة الطفولة، وسنوات الدراسة اختزالاً؛ لتتوقف عند بداية عمله في النّضال، وهو طالب مبتعث إلى العراق للدراسة. وكذلك الأحداث التي "شهدتها البلاد ابتداء من الثورة الدستورية في 1948م إلى انقلاب 1955 م، وانتهاء بثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962 م. وفي هذه الذكريات إشارات تمنيت لو طالت واتّسعت؛ لرصد بعض التفاصيل التي تكشف عن نماذج من المعاناة التي لا نظير لها، ولا سابق ممّا تعرض له بعض أفراد هذه البعثة التي أسهمت في تحديد معالم الأبجدية الوطنية وفي مقدّمتهم صاحب هذه الذكريات نفسه" (المروني،2001: 9). ويؤكّد تقديم المقالح أنّ النص في المذكّرات من خلال إشارته الصريحة إلى النص في علاقته بالقارئ، يقول: "ولا شكّ في أنّ قارئ هذه المذكّرات سوف يستمتع بالأفكار والذكريات التي اختزنها أستاذنا الجليل خلال عمله وزيرا بعد قيام الجمهورية ودبلوماسيًّا في أكثر من بلد عربي، ورصده بوعي الثائر والمواطن العربي المثقف ما كان يجري من أحداث، وما يدلّ عليه من وقائع التاريخ المعا صر من تطور في حركة الوعي القومي العربي متعدّد الآفاق والمستويات" (المروني، 2001: 11).

إن هذا الشّاهد يؤكّد وعي المقالح بما يكتب في علاقة بالنضال وبجنس المذكّرات، إذ يورد في نهاية تقديمه ما يؤكّد أنّ كاتب النص كان واعيا بأنّه يكتب مذكّراته، يقول: "إنني **أتفهم وأعي** بوضوح أسباب السعادة الغامرة التي ملأت القلوب، وارتسمت على وجوه تلاميذ أستاذ الأجيال الأستاذ أحمد حسين المروني عندما علموا بقرب صدور الجزء الأول من **مذكّراته أو ذكرياته كما يحبّ أن يسمّيها**". (المروني، 2001: 12). إنّ الكاتب حسب المقالح كان يحلو له تسمية نصه بالذكريات. ولذلك، فإنّ المقالح عندما يورد لفظة المذكّرات يتبعها بالذكريات كما كان يحلو لأستاذه المروني تسميتها. وهذا يؤكّد أنّ الجزء الثاني من عنوان النص، أو العنوان الفرعي (معالم سيرة ذاتية) لم يكن من وضع كاتب النص، وإنّما –

كما يبدو لنا- أنّه من وضع النّاشر، وإلا لماذا يرفق العنوان الرئيس بهذا العنوان الفرعي وهو الواعي بما يكتب، ويعي أنّ نصه في الذكريات، وكان يحلو له أن يسميها كذلك على حدّ عبارة المقالح. فلماذا هذا الاضطراب؟

ج. إشارات أحمد جابر عفيف: تكامل في التّسميات أم اضطراب في الوعي

إذا نظرنا في "إشارات أحمد جابر عفيف" التي قدّمها عن نص المروني، تبين لنا أنّه يسمي النص بتسميات عدّة، فهل ذلك راجع إلى قلّة الوعي في الأجناس السّرديّة، أم أنّ عنوان النصّ قد أحدث ارتباكًا لدى المقدّمين له؟ ومن تلك التسميات:

– **السّفر**: يقول: "أشعر بسعادة غامرة وأنا أقدّم بين يدي القارئ هذا السّفر المهم الذي كتبه واحد من رواد النهضة والتنويرَ في اليمن". (المروني، 2001: 13).

– **كتاب**: يقول إنه: "**كتاب** مهم لأكثر من سبب، فهو يوسع معرفتنا ويسدّ النقص الذي نحس به فيما يخص البدايات الأولى لمحاولات التنوير والتحرر".(المروني، 2001:13). ويقول: "حرصت على أن يأتي هذا **الكتاب** الذي أقدّمه للقراء نابعا من ضميره، ومن خلجات أفكاره". (المروني،2001: 15).

– **شهادة**: ويقول عفيف أيضا هي: "**شهادة** حية من أحد المعالم الحية للتغيير".(المروني،2001: 13).

– **سيرة، رحلة عمره**: يؤكّد عفيف أنّه عرض على المروني أن يجمع "ما كتب في الصحف والمجلّات، وأن يكتب **سيرته**، ويصف **رحلة عمره** بحلوها ومرها". (المروني،2001: 15).

– **ذكريات** : يقول عفيف عن الحوار الذي دار بينه وبين المروني عن كتابة سيرته، وقناعة الكاتب بما قدّمه عفيف من أفكار: "بعث لي رسالة موافقا على مقترحي في وقت بدأ فيه بكتابة **ذكرياته** عن الأحداث الوطنية التي مر بها". (المروني، 2001: 15).

ونخلص من الإشارات إلى أنّ عفيف على الرغم من أنّه أورد تسميات عدّة لنص المروني، منها: (السّفر- الكتاب- الشّهادة- السيرة- الرحلة- الذّكريات)، فإنّه قد ختمها بأنّ النص هو ذكريات الكاتب، وهو تجربة صَاحبه في الشأن العام، وكل هذه التّسميات تتكامل؛ لتؤكّد أنّ ما كتبه المروني هو مذكراته، ولا تخلو المذكرات من شهادة يقدّمها الكاتب على الواقع الذي عاشه في تلك المرحلة التي وسمها "بالنفق المظلم" وهي من أبرز مراحل الصراع السياسي في اليمن. وقد تكون تلك التّسميات المتعدّدة والمتناقضة أحيانا هي ناتجة من إعجاب عفيف بما كتبه المروني، إذ لا تخلو أيضا من اندهاش واعتزاز. ولعل تقارب بعض التّسميات واندراجها في دائرة السرد الذاتي المرجعي قد أوقع عفيف في هذا التداخل والاضطراب. ولا يمكن معرفة دقائقها وتفاصيلها إلا المختص في نظرية الأجناس الأدبية. ومن هنا ننبه إلى أمر مهم وهو استدراك عفيف وذكره لجنس المذكّرات أو الذكريات على الرغم من أنّه كان واعيا بأن ما كتبه المروني هو تجربته في النّضال، وفي البحث عن الخروج من النفق المظلم، وهذا كاف؛ لنقول إنّ النص في المذكّرات، وإنّ وعي عفيف بدا متفاوتا مضطربا ضبابيًّا، لكنّه أرسى رأيه على أنّ النص هو ذكريات صاحبه.

4. خطاب الذات الكاتبة: من أسباب التأليف إلى قرار الكتابة

يرصد المروني في مقدّمته الذاتية أسباب التأليف، ومن ثم يورد ما يؤكّد أنّ ما كتبه هو مذكّراته، ويبدو لنا أنّه واع بهذا الجنس من الكتابة، وبما يثيره من إشكاليات وتساؤلات في علاقة بالفاعلين السياسيين والقراء أيضا. فهي رحلة في الحياة، وهي ذ كريات، وشهادة للتاريخ، وقصة حياة. يقول عن رفاق دربه في النضال وطلابه: "كانوا يستمعون إلى ما أقص عليهم من رحلتي في الحياة[...] أسجل ذكرياتي كشهادة للتاريخ[...] أخشى ما ستثيره قصة حياتي من تساؤلات، وقد تعرضني للنقد والتجريح[...] قررت أن أبدأ بالكتابة دون تردد، وها أنذا أستعيد ما بقي في الذاكرة من مشاهد وصور للأحداث وأكتبها كما هي". (المروني، 2001: 17). إن الأجناس السردية التي أشار إليها الكاتب في الشاهد السابق هي متقاربة، وتنتمي إلى دائرة أجناسية واحدة، وهي أدب الذات، أو الأنا، أو السرد المرجعي. وقد تتداخل في نص من النصوص فيقترب نص المذكّرات مثلاً من نص السيرة الذاتية، وتقترب الشهادة من أدب الرحلة، ومع ذلك يبقى لكل جنس خصائصه التي تميزه عن غيره، وإن كانت أحيانا ا لفروق دقيقة جدًّا، وقد تصل إلى حدّ الالتباس. ويبدو لنا أنّ الكاتب قد وقع في ه ذا الالتباس على الرغم من إشاراته المتكررة إلى خصائص دقيقة تسم النص بالذكريات. ولعل ذلك ناتجا عن قصور في الوعي الدقيق بين الأجناس، وما يميز كل جنس من الآخر، وهذا يتّضح جليًّا من إيراده لعدّة أجناس في الشاهد السابق ممّا يوحي باضطراب في الكتابة، والتبا اس في الرؤية النقدية، وقصور في الوعي بالنظرية الأجناسية أيضا. وهذا الاضطراب يتجلّى فيما ذهب إليه الكاتب من أنّه يكتب ذكرياته، وأنّ هذا المصطلح تحديدا كان يحلو له، وهذا ما أكّده المقالح في تقديمه، وعلى الرغم من كل هذا، فإنّ الكاتب بالإضافة إلى غيره ممّ ن قدّموا النص أوردوا مفاهيم عدّة متقاربة حينا، ومتباعدة أحيانا في تجنيس النص، ممّا يجعلنا نقول إنّه نص أقرب إلى المذكّرات، وإن تجلّت فيه بعض معالم السيرة الذاتية من خلال حضور طفولة الكاتب وتعليمه، وإن كانت إشارات قصيرة، فإنّها تقرب النص من السيرة الذاتية، دون أن يفقد هويته الأجناسيّة في انتمائه إلى المذكّرات.

ونجد أيضًا في المقدّمة الذاتيّة للكاتب وعيًا دقيقًا بالفرق بين كاتب المذكّرات وكاتب التاريخ، وأن ما كتبه هو مذكّراته، وهي وثائق قد تفيد كاتب التاريخ أو المؤرخ عند كتابته للمرحلة المروي ة التي حكاها كاتب المذكّرات، يقول: "وها أنذا أستعيد ما بقي في الذاكرة من مشاهد وصور للأحداث، وأكتبها كما هي علّها تكون معينة لمن سيكتب حول تاريخ اليمن المعاصر، وقد آليت على نفسي بأن لا أثير فيها ما يجرح أو يتسبب في إيذاء أحد". (المروني، 2001: 17). فالذا ت هنا تحكي نفسها، وتعي دورها، وتفرق بين كاتب التاريخ، وبين كاتب المذكّرات الذي يضمر بعض الأحداث التي تثير جراحا أو تأجج صراعا، وهذا وعي أول بجنس المذكّرات. ثم تعلن الذات الكاتبة بأنّ لا رفق، ولا تسامح في الكتابة مع من نغّصوا حياتها، وعكّروا صفوها، وم ن معها في دروب النضال، تقول: "لن أترفّق بمن أزهقوا الأرواح، ونكّلوا بصفوة المفكّرين، وعلّقوهم على أعواد المشانق، ولن أتسامح مع من نغّصوا حياتي وحياة أهلي وأخوتي". (المروني، 2001: 17). وهذا وعي ثان بخفايا هذا الجنس من الكتابة الذي تتجلّى في سياقات منه الذ ذات الكاتبة متوعّدة، وغير متسامحة. بل إنّها ترفض الرفق بمن أساءوا إليها في علاقة بالمجتمع والوطن. إنّ هذا كلّه، بالإضافة إلى ما سبقَ يؤكّد أنّ نص المروني هو مذكّراته، لما له من علاقة في الشأن العام، وقد أكّد الكاتب في مواطن من مقدّمته الذاتيّة أنّ نصّه بما يحمل من أحداث متصلة بالشأن العام قد يفيد كاتب التاريخ منه، وهذا شأن نصوص المذكّرات، إذ يعود إليها كتّاب التاريخ والمؤرخون متى ما أشكل عليهم حدث ما، أو تضاربت الأقوال فيه. فالمذكّرات هي مصدر من مصادر البحث التاريخي، وعلى المؤرخ التدقيق في الأحداث وم قارنتها، ومن ثم الأخذ بها، فهي من مصادر البحث التاريخي؛ لأنّ المذكّرات في وجه من وجوهها تنشد الموضوعية، والحقيقة التاريخية وهما أيضا ما يسعى إليهما كاتب التاريخ، وما يؤكّد ما ذهبنا إليه دراسة: كارولين فان

دي بول، التي تحمل عنوان: "الحقيقة في المذكّرات" (Caroline van de Pol,2013). ودراسة خاكيموفا سعيدة باختيوروفنا، التي تحمل عنوان: "المذكّرات كمصدر للبحث التاريخي" (Khakimova Saida Bakhtiyorovna, 2023). وغيرها من الدراسات الأخرى. فالدراسة الأولى رأت أنّ الحقيقة تكمن في المذكّرات، إذ إنّ كاتب المذكّرات يوثّق ما كان شاهدا عليه، ومن داخل التجربة. ومن ثمّ ، فهي ترى أنّ نصوص المذكّرات تحوي حقائق تاريخية. أما الدراسة الثانية فترى أنّ المذكّرات هي مصادر للبحث التاريخي، أي أنّ كاتب التاريخ قد يعتمدها مصدرا أثناء كتابته للتاريخ.

وعليه، فإنّنا سننظر في نص المروني بصفته نصًّا في المذكّرات. ولم يكن نصًّا نموذجيًّا طرازيًّا فيها، وإنّما هو أقرب إليها أجناسيًّا؛ لاحتوائه على أحداث متّصلة بالتاريخ، ولتصريح الكاتب في أكثر من سياق بأنّه يكتب ذكرياته. فإلى أي حدّ يمكن الحديث عن تجليات الذّات في نص المذكّرات. وهل يمكن القول بتشظّي الذات في هذا النص من الكتابة الذي يعدّ مصدرا من مصادر كتابة التاريخ على حدّ ما ذهبت إليه: كارولين فان دي بول، وخاكيموفا سعيدة باختيوروفنا؟

5 . النص بين خطاب الوعي وتشكيل الخطاب

إنّ عناوين النص الداخلية هي من صنع الكاتب، وتحمل رؤية وتنسيقا وتنظيما وتشكيلًا، وفيها وعي بما يرمي إليه الكاتب، وقد شكّلت وفق تصورات الكاتب ومقاصده ومقتضيات الكتابة. ولذلك، لم تكن العناوين الداخلية مجرد زخارف يزين بها الكاتب نصه، وإنّما لها وظائف عدّة، لعل أبرزها، وعي الكاتب بمحدّدات النص، والجنس الذي ينتمي إليه، وفق رؤية أشمل في الحياة، والكون، وتتشكّل رؤية الكاتب وتجاربه وفقا لذلك التصور الكوني.

فإذا دققنا في متن نص المروني، ألفينا أنه بني وفق فصول افتتح بعنوان: "قصتي مع الوسام" ثم أردف العنوان بصورة توثّق لحظة التكريم. ينظر: (المروني، 2001: 23). وجاء الفصل الأول بعنوان: "الميلاد والنشأة والابتعاث للدراسة في العراق" وجاء الفصل الثاني بعنوان: "العودة إلى اليمن وبدايات العمل التنويري الوطني"، وجاء الفصل الثالث بعنوان: "مع التجمع الوطني في مسيرة ثورة 1948 م وسنوات من السجن"، وجاء الفصل الرابع بعنوان: "ذكريات من الثورة السبتمبرية ومحطات حياتي اللاحقة". ثم جاءت الملاحق، وفيها رسائل وصورة توثيقية تشدّ النص نحو التاريخ وقضاياه، وصلة النص به. إنّ كل هذه العناوين تؤكّد أنّ النص ينتمي إلى الشأن العام السياسي والدبلوماسي، وهو تجربة الكاتب أثناء عمله في النّضال منذ أن كان طالبا حتى التحاقه بالعمل الوطني، والسجن، إلى ما بعد الثورة، وأنّ ما يؤكّد ما ذهبنا إليه هو عناوين الفصول التي تؤكّد ذلك. ويستبعد أن يكون النص في السيرة الذاتية على الرغم من تجليات بعض مظاهرها في الفصل الأول؛ لأنّ ذلك يـ قربها من السيرة الذاتية دون أن تكون كذلك؛ لأنّ خصائص المذكّرات متجلّية بصورة أكثر وضوحا ودقّة. ومع ذلك، فإنّ النص المذكّراتي لا يمكن أن يخلو من حضور الذات المتكلّمة والمشكّلة له، وإنّ العناوين في النص صادرة عن ذات واعية. وإن تقديم عنوان "قصتي مع الـ وسام" واستباق السرد إليه إلى سنة 20/ 3/ 1985م بينما كانت انطلاقة الأحداث في الفصل الأول في سنة 1920 م فيه موقف ذاتي من تشكيل النص، ومن حضور حدث التكريم بصفته مفتتحا للنص، وفيه حضور للذات المكرمة والمستحقّة للوسام، والمتباهية بما وصلت إليه. ولا يخلو ذلك أيضا من تمجيد للذات الكاتبة، ومن فخر واعتزاز بما وصلت إليه. وهذا شأن المذكّرات. بل إنّه خاصية من خصائصها. ثم يرتدّ السرد أيضا إلى أحداث حياة الكاتب الأولى؛ ليقدم نفسه طالبا ومبتعثا، ومن ثم دوره في العمل السياسي. ونتبين من ذلك أن استراتيجية الكاتب في تشكيل نصه، وفي اختيار العناوين تقديما وتأخيرا يعد من خصائص الذاتية في النص. فالكاتب يختار ما يشاء من أحداث بعينها، ويستبق الأحداث المروية إلى أحداث لم يصل إليها السرد وهذا موقف ذاتي له

مقاصد ومرامي. ونتبين أيضا أنّ عناوين النص الداخلية والملاحق بما فيها من رسائل وصور تقرب النص من المذكّرات، وتبعده من السيرة الذاتية. فهل للاضطراب الوارد في تجنيس النص، وتفاوت الوعي بهذا الجنس من الكتابة أو ذلك، كان لهما دور في تشظّي الذات الكاتبة إلى ذوات وهي تكتب مذكّراتها؟ وكيف تجلّت الذات الكاتبة في المذكّرات؟

المبحث الثاني: أشكال كتابة الذّات في نص المروني:

تتجلى أشكال الذات في نص المروني "الخروج من النفق المظلم" من خلال ضربين: ضرب مرده إلى تشظّيات الذات وتشقّقاتها وتصدّعاتها، وضرب آخر مرده إلى الأحكام الانطباعية والانفعالية النابعة عن ا لذات الكاتبة المتشظّية.

1 . تشظّيات الذّات الكاتبة وتشقّقاتها:

لئن كنّا قد دققنا في نص المروني، وألفيناه يتنزل في دائرة السرد الذاتي، وخاصة المذكّرات. وتبينا أنّ كاتب المذكّرات يكتب مرحلة من مراحل عمله في الشأن العام بصرف النظر عن عودته إلى التذكير ببعض الأحداث المهمة في طفولته أو شبابه من عدمها، فإنّه يركّز على المرحلة التي شغلها في الشأن العام، وكان شاهدا عليها ومشاركا فيها. ولما كانت كذلك، فإنّها تقتضي أن يكون صوت الكاتب مفردا معبّرا عن الشّخصيّة الرئيسة والحقيقة التاريخيّة؛ لأنّ أعوان السرد الثلاثة في المذكّرات متطابقة الراوي والكاتب والشخصية الرَئيسة. ولكننا وجدنا في نص المروني أنّ الذّات تتشظّى إلى ذوات عدة، وفي كل سياق من سياقات النص نجد ذاتا مختلفة عن الذات الأخرى المتكلّمة في سياق أخرى من السرد.

إنّ الذات الكاتبة في المذكّرات تتشظّى إلى ذوات عدة. بل إنّ الحدود بين الذوات تبرز، نتيجة التّشقّقات في الذات الواحدة، وهنا يؤكّد "فروش" "انهيار حدود الذات". (Frosh, 1999:381). فتصبح الذات الواحدة ذواتا متعدّدة ومتداخلة، نتيجة لذلك الانهيار الناتج عن واقع الحياة وتقلباتها. وتتجلّى الذات الكاتبة في الخطاب، وفي اللغة فـ: "النظام [اللغوي] قائم أساسا على الذاتية، وأنّ ذلك ما يفسر كمونها في أكثر الخطابات موضوعية، وظهورها في الخطابات على اختلاف أنواعها"(نرجس باديس، 2018: 10). فالذاتية تتجلّى في كثير من الخطابات، وإن ادعت تلك الخطابات الموضوعيّة في ظاهرها، فإنّها تضمر غير ذلك؛ لأنّ "الذاتية متجذّرة في اللغة، وفي جميع مكوناتها. ممّا يجعلها مقوّما من مقومات اللغة لا مجرد ظاهرة ممكنة من مظاهرها"(نرجس باديس، 2018: 12). وإذا كانت ذاتية الكاتب تتجلّى من خلال اللغة، بل هي متجذرة فيها، ومتجذرة في الخطابات التي تزعم الموضوعية، فكيف يمكن أن نصف ذاتية الخطاب الذاتي، أو الخطاب الذي يصرح كاتبه بأنّه ذاتي؟ إنّ الذاتية طبقات ومراتب في الخطاب. ولا فرق عند الباحثين في اللغة بين الخطاب الموضوعي والذاتي؛ لأنّ "كل ما يصدر عن اشتغال الذهن لا يمكن أن يكون إلا ذاتيًّا. فكل ما يتقوم بالبناء، ويمثّل بنية، هو بالضرورة من صنع الذات تسيطر عليه، إما بطريقة مباشرة، وإما بطريقة غير مباشرة. ممّا يفترض تجذّر الذات في جميع المستويات البنيوية للنظام اللغوي على صور متفاوتة من حيث درجة التجريد. [...][فـ] النظام اللغوي لا يتقوم بثنائية الذاتي والموضوعي، بل يتقوم بذاتية مطلقة". (نرجس باديس، 2018: 15). وأنّ أي خطاب مهما كان نوعه، ومهما زعم غير ذلك، فهو لا يخلو من ذاتية صاحبه. وأنّ ما يؤكّد ما ذهبنا إليه هو ما قاله تورجوفنيك "Torgovnick" : "إنّ الكتابة التي يقوم بها الكاتب هي كتابة شخصية" (Torgovnick, 1990: 26). أي نابعة من قناعة شخصية، وتعبّر عن كل ما هو شخصي وذاتي. ومن ثم تتعدّد الذات الكاتبة إلى ذوات عدّة. فـ "الذاتية هي بصمات أو آثار الذات المتكلّمة فيما تنتجه من خطاب، أي هي مواطن اندراج مختلف مكونات الإطار التلفّظي في

نسيج الملفوظ". (العمامي، 2017: 12). إنّنا في هذا المبحث سنسعى إلى رصد بعض أشكال الذات المتجلية في نص المروني، وعلاقتها بعنوان النص وموضوعاته.

أ. الذّات الجريحة والمتأزّمة:

إنّ محاولة الخروج من النفق المظلم لم يكن سهلًا على الذات الكاتبة التي عاشت الحدث وشهدت عليه، وشاركت في الخروج منه. وقد تركت أحداث الوطن الداخلية جراحا في أعماق الكاتب كثيرة، وما عمق تلك الجراحات أكثر هو جرح النكسة، إذ عبر المروني عن تلك الواقعة بالجرح النازف. ولعل هذا الجرح قد صبغ الذات الكاتبة بصبغة النكسة والهزيمة. يقول: "تركت النكسة في قلبي جرحا لا يزال ينزف إلى اليوم؛ لأنّ هزيمة الجمهورية العربية المتّحدة، كانت هزيمة كل العرب". (المروني، 2001: 196). وهو الأمر الذي ولّد نوبة من البكاء عند سماعه بخبر الهزيمة، "فوجئنا بأخبار هزيمة الجيش المصري التي بكيت عند سماعها" (المروني، 2001: 195). لقد تركت الهزيمة جرحا نازفًا في أعماق الكاتب، وأدخلته في حالة نفسية متأزمة جعلته يترك بغداد ويعود إلى صنعاء. وقد عبر عن ذلك بضمير المتكلّم الجريح إذا جاز التعبير، يقول: "ودعت المسؤولين في بغداد وعدت إلى صنعاء، وأنا في حالة نفسية متأزمة" (المروني، 2001: 197). ويقول أيضا مؤكّدا عمق تأزم الذات الكاتبة لما حدث: "عدت إلى صنعاء وأنا في غاية التأزم" (المروني، 2001: 201). فلم تكن الذات الكاتبة حينها جريحة فحسب، وإنّما كانت تعاني من أزمة نفسية حادة جعلت الكاتب يغادر عمله الدبلوماسي؛ لأنه لم يستطع تقبل ما حدث، فقد كان ذلك فوق مستوى تحمله، وقد أحدث النكسة صدمة نفسية عانى منها الكثير ممّن كانوا يطمحون إلى الوحدة العربية الكبرى، ومنهم المروني.

ب. الذّات القلقة والحائرة:

إنّ الذات الكاتبة هي شخصية عامة سعت في مختلف مراحل عمرها إلى الخروج من النفق المظلم على حدّ عبارتها، فهي شخصية نضالية. ولما كانت كذلك، فهي ليست بعيدة عن رقابة السلطة الحاكمة آنذاك، ممّا جعلها في قلق وحيرة وذهول. يقول عند عودته إلى الوطن: "وما كدت أنزل من الطائرة حتى رأيت العسكر الإمامي وصور الجواسيس، فشعرت بالقلق وكدت أعود إلى عدن".(المروني، 2001: 181). ويقول عن زميل له في الرحلة: "أصابه القلق، كما أصابنا". (المروني، 2001: 48). إنّ الكاتب مهما بدا مناضلًا قويًّا شرسا، فإنّه في لحظة من لحظات التعري الذاتي يكشف عن نقاط الضعف الإنساني، وكيف أنّه كان يعيش ذواتا متعدّدة ومتشظية بين القلق والحيرة والتّشرد، يقول بعد أن عرض عليه البدر الإذاعة: "دهشت وقلت له: إنّها الوظيفة التي تسببت في تشريدي، وكادت تقضي علي". (المروني، 2001: 182- 183) . ولم يكن أمام الكاتب إلا القبول بالوظيفة، ومع ذلك، فإنّه كان يعيش حيرة وذهولًا وتوجسا وقلقًا، يقول: "غادرت مكتب البدر وأنا في حيرة من أمري[...] توجهت إلى مبنى الإذاعة وأنا في ذهول". (المروني، 2001: 183). إنّ هذه الشّواهد قد أكّدت أنّ الذات الكاتبة تعيش تشظيًّا وتمزقًا، نتيجة الواقع الذي فرض عليها ضروبا من الإكراهات المقيدة للحقوق والحريات، فهي ذات قلقة حينا وحائرة حينا آخر ومندهشة وشريدة ومذهولة أيضا في أحايين أخرى.

ج. الذّات المُراقَبة (المُحتجزة):

نقصد بالذات المراقبة هي الذات الكاتبة التي تعيش تحت رقابة السلطة السياسية، خاصة وهي في مصر بعد النكسة، إذ وضعت السلطة السياسية المروني آنذاك تحت الرقابة؛ لكونه منتميا سياسيًّا إلى التيار البعثي العراقي الذي كان في صراع سياسي مع السلطة في مصر. ولهذا وضعت السلطة المصرية بعض الشخصيات السياسية المحسوبة على تيار البعث تحت الرقابة والحجز في منازلهم. وقد كان لتلك الرقابة أثر في لذات الكاتبة، ممّا جعلها تشعر بخيبة أمل. بل بملل وضيق، وعدم الشعور بالطمأنينة والرضا، يقول المروني: "أمضيت سنة وثلاثة أشهر محجوزا في الشقة لا أغادرها حتى ولو إلى باب العمار؛ لأنّ العسكري الحارس بباب الشقة يحصي من يزورني، أو يتصل بي[...] ممّا جعلني أضيق وأشعر بالملل".(المروني، 2001: 181). فهي ذات محتجزة، تشعر بالضيق والملل، وبمصادرة حقوقها وحريتها، وكأنّها محل شبهة، وهذا ما يعمق تمزقها وتشظّيها.

د. الذات الحساسة

تجلّت في بعض سياق نص المروني ما يدلّ على أنّ ذاته تحس وتشعر بما سيحدث، أي أنّها تتنبأ بذلك من خلال معطيات الواقع وتغييراته. وقد برزت الذّات الحساسة في سياق حديث الكاتب عن الثورة، وعن إرهاصاتها ومعالمها، وتململ الناس من الواقع المرير آنذاك. ولذلك، عبر الكاتب عن إحساسه ورؤيته وقراءته لتحولات الأوضاع مثله مثل غيره من المتابعين للأحداث وسيرورتها، قائلا: "كان هناك قبيل الثورة إحساس بأنها أصبحت على الأبواب". (المروني، 2001: 183). ولئن كانت ذات الكاتب الحساسة – وهي ذات فردية– قد استشعرت ذلك وتنبأت به، فإنّ الذات الجمعية أيضا ليست بمنأى عند ذاك الإحساس الذي كان له علاماته وملامحه في الواقع وعلى وجوه الناس.

هـ. الذّات العليلة الخائفة:

تحفر الذات الكاتبة في تاريخ طفولتها، وخاصة في المراحل الأولى منها؛ لتؤكّد ما كانت تعانيه من مرض وخوف رافقاها طويلا، تقول: "كنت معتل الصحة، شديد الخوف من الناس، ومن الليل حين يخيم بظلامه وسكونه".(المروني، 2001: 24). وتسترسل الذات العليلة الخائفة في ذكر الأسباب التي جعلتها تعاني من الخوف وأبرزها، الجفاء والخصام، نتيجة الخلافات، وكذلك الألعاب العبثية والتجاوزات الحمقاء بين الأ طفال والأولاد الكبار. وكذلك الواقع الاجتماعي والصحي آنذاك. ولذلك، فإنّ الذات الكاتبة تعري ذاتها كاشفة عما يخيفها في واقع اشتدّ ظلامة، وعسر الخروج من أنفاقه المظلمة.

و. الذّات الواعية:

تؤكد الذات الكاتبة أنّ التعليم هو سبيل الوعي بالحقوق والحريات. فبعد دخولها المدرسة بدأت تعي ذاتها في علاقة بالحياة، والأصدقاء، والواقع. تقول: "بدأت أعي الحياة، وأشعر بأنّ لي زملاء يعانون مثلما أعاني". (المروني، 2001: 27). وهذا الوعي قاد إلى وعي أكبر في علاقة بالواقع السياسي والاجتماعي، خاصة بعد حصولها على بعثة دراسية إلى العراق، إذ عادت بوعي آخر في علاقة الحاكم بالمحكومين، وبالحقوق والحريات، وبالمطالبة بالانفتاح السياسي، والخروج من النفق المظلم والعزلة المفروضة. فالذات بدأت تعي ذاتها وتكتبها. وقد أحدث وعي الذات الكاتبة بنفسها وبواقعها صدمة قادتها إلى رفض الواقع، وا لسعي إلى تغييره، وهنا تعمقت أزمة الذات الواعية بواقعها، والمتشظّية، نتيجة لذلك الوعي، وممّا

زاد من تشظّياتها هو عدم قدرتها على إحداث تحول جذري في الواقع، فهي تعي، وتشعر، بأنها ليست وحدها، وإنّما هناك من يعي كما تعي، ويعاني كما تعاني أيضا.

ز. الذّات المُبتهجة:

أبانت الذّات الكاتبة عن سرورها وابتهاجها لحظة تكريمها من قبل رئيس الجمهورية بوسام الاستحقاق وعدّته تكريماً للمناضلين الصادقين في حبهم للوطن والشعب، يقول: "ذكرت ذلك وأنا يغمرني السرور والابتهاج". (المروني، 2001: 22). "قلت بكل سرور أنا إليكم [...] وأنا في حالة من الاستبشار[...] أخرج [...] الوسام حيث قلّدني إياه في مودة ولطف، ثم أخذ بيدي إلى جانبه لتلتقط لنا صورة تذكارية، وقبل أن نغادر القاعة عانقته في إجلال وتقدير، وكادت دموعي تنهمر في هذا المشهد التاريخي". (المروني، 2001: 21). وفي سياق آخر يقول: "الفرحة كانت طاغية على بقية الأحاسيس". (المروني، 2001: 25). ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ التكريم كان في الثمانينات بعد قيام الجمهورية بسنوات. ولذلك، وجدنا صورة مختلفة للذات الكاتبة عن الذوات الأخرى الواردة في النص. فالذات مبتهجة مسرورة بما حظيت بـ ه من تكريم، ترى أنّه تكريم لكل المناضلين من رفاقها. ولذلك، هي مبتهجة، ويغمرها السرور، وهي مستبشرة وفرحة، وتشعر بالتقدير والإجلال النابعين من تقدير الذات والاعتزاز بما وصلت إليه.

ح. الذات الساردة لمشاعر الوداع

تعبر الذات الكاتبة عن مشاعر الوداع، وتتجلّى من خلال ضمير المتكلّم الجمعي، الذي لا يخص الذات الكاتبة وحدها، وإنّما يتجاوزها؛ ليرصد لحظات الوداع، وأثره في نفسية الكاتب ورفاقه في البعثة. فالكاتب هو الصّوت المعبّر عن مشهد الوداع. يقول: "عندما دقّت ساعة الرحيل [...] أطللنا على الميناء؛ لنودع أهل صنعاء الطيبين الذين حَضروا لتوديعنا[...] هنا اهتاجت عواطفنا، وتنبهت مشاعرنا وإحساسنا بالفراق، لا سيما ونحن نسافر بعيداً عن صنعاء لأول مرة" (المروني، 2001: 44). إنّ الذات الكاتبة قد تشظّت إلى ذوات عدّة منها، الذات المعبرة عن الوداع، أو الذات التي تكتب وداعها ، ووداع رفاقها. بل إنّها ترسم المشهد بصورة حية. فلفظ "دقّت ساعة الرحيل" يحمل في طياته دلالات ومقاصد ومشاعر، لا يمكن البوح عن مكنوناتها ودقائقها، ولا يمكن للذات الكاتبة وهي تسترجع طفولتها أن تجد لفظاً أدقّ في لغة المشاعر من لفظة "دقّت ساعة الرحيل" نودع، اهتاجت عواطفنا، وتنبهت مشاعرنا" إنّ هذه الأفعال وغيرها هي في علاقة بمعجم الرحيل والوداع والسفر. ويقول: "كانت الباخرة كلّما ابتعدت عن الميناء ازدادت أشجاننا وازداد شعورنا بألم الفراق، وقد بكى أكثرنا شجنا وحزنا. وبدأنا نحس بوحشية الاغتراب واشتدّ كربنا". (المروني، 2001: 45). ففي هذا الشاهد تعبر الذات الكاتبة أيضا عن ابتعادها عن الوطن والأهل والمودعين، وعن مشاعرها، ومشاعر رفاقها التي تحترق أشجانا، وفراقا، وحزنا. فالذات الكاتبة تعيش تحولات في حياتها. بل إنّها تعيش حيوات عديدة، وهذا التعدّد والتّشظّي مرده إلى تجارب الذات الكاتبة وتنوعاتها، وما مرت به أيضا من حيوات قاسية في علاقة بالطفولة والابتعاث، ومن ثم النضال والعمل في الشأن العام. ولم تكتف الذات في حديثها عن نفسها، وإنّما تسللت إلى ذوات رفاقها؛ لتخفر فيها، وتكشف ما فيها من آلام الفراق واضطراب المشاعر والأحاسيس، إنّها تحكي مشاعر الوداع.

ط. الذات الكاشفة عن ذاتها وذوات رفاقها

يؤكّد الكاتب أنّه لا ونيس لذاته في رحلتها إلا النّجوم. فبعد مغادرة البعثة الطلابية من ميناء عدن في طريقها إلى العراق، وعودة المودّعين والأهل، واشتداد إحساس الذات الكاتبة ورفاقها في البعثة بوحشة الفراق وألم الاغتراب، لم يكن لهم من ونيس يؤنس وحشتهم إلا النجوم التي قامت بدور الونيس ممّا جعلهم يشعرون بالاستقرار يقول: "رأينا البحر في الليل كأنّه صورة من السماء، وكانت السماء صافية، والنّجوم تسايرنا كأنها عيون حانية تؤانسنا[...] ممّا جعلنا نشعر بالاستقرار". (المروني، 2001: 46).

إنّ الذات الكاتبة في النص تتجاوز ذاتها إلى التّعبير بضمير المتكلّم الجمعي عن ذوات رفاقها في الرحلة، وما يعانونه من ألم الفراق، ووحشة الظلام والوحدة، ممّا يجعلنا نتعاطف معهم، فالتجارب الإنسانية متشابهة والرحلة توحّدها. وفي هذا السياق تؤكّد استيفن كوهان وآخرون أنّ: "[...] النص السردي لا يمثل الذاتية للقراء أو المشاهدين فحسَب، بل والأهم من ذلك، أنه يشير أيضا إلى ذاتيتهم بالنسبة إليهم" .(Steven Cohan. et al,1988: 149).

ي. الذات المؤدلجة

نقصد بها ذات الإيديولوجيا، أي الذات التي تتحكّم بها الإيديولوجيات بأشكالها المختلفة، فهي موجهة للذات الكاتبة، وآسرة لها. فالانتماءات السياسية أو الدينية نابعة من قناعات ذاتية، وتظهر في كتابات الكاتب بأشكال وصور مختلفة مهما حاول أن يخفيها، أو أن يدّعي الموضوعي ة والحياد فيما يكتب. إنّ اللغة لصيقة بالذات، ومعبرة عن مكنوناتها، وهواجسها وشواغلها. ولذلك، فهي تصبغها بصبغة ذاتية، تلون خطاب الكاتب وتوجهه. بل إنّ الكاتب يسعى من خلال نصه أيا كان هذا النص إلى التوجيه والتأثير والحمل على الإقناع، وفي كل هذا وذاك لا يمكن أن يخلو أي خطاب من ذاتية صاحبه.

إنّ المروني يصرح ببعض توجهاته السياسية، ويخفي أخرى. بل إنّه يحاول أن يكون موضوعيًّا، لكن الخطاب يفصح عن تلك العلاقة المتوتّرة بينه وبين القاهرة، وما احتجازه لسنة وثلاثة أشهر فيها إلا دليل على ذلك التوتّر، وخاصة بين القاهرة وبغداد في تلك المرحلة من مراحل الصراع القومي البعثي. ولقد كان الكاتب آنذاك ميالًا في انتمائه السياسي إلى بغداد وتيارها البعثي، وخاصة بعد انفصال الجمهورية العربية السورية عن الجمهورية العربية المتّحدة، وما حدث بعد ذلك من توتّرات بين القوميين والبعثيين. وقد تجلّى توجه الكاتب الإيديولوجي من خلال المواقف المضمنة في خطابه، وخاصة أثناء تعبيره عن حبه العميق لبغداد، وشعوره الحزين لمفارقته لها بعد انتهاء عمله فيها سفيرا للجمهورية العربية اليمنية، وتجلّى الموقف السياسي بين جمال عبد الناصر والبعثين فيما ذكره المروني في مذكّراته، إذ أفرد عنوانًا في الباب الرابع أسماه بـ: "موقف عبد الناصر من البعث والبقاء لفترة تحت الإقامة الجبرية في القاهرة" (المروني، 2001: 189).

وعلى الرغم من أنّ كاتب المذكّرات يزعم بأنّه يكتب ما حدث في الواقع، وأنّه العين الراصدة لما عاشه، وشارك فيه، وكان فاعلًا سياسيًّا م ن فواعله، فإنّه لا يمكنه أن يكون بعيدًا كل البعد عن حضور الذات في خطابه؛ لأنّ الذات تحضر في صور شتى، من خلال زوايا النظر، والمواقف، والإيديولوجيا، واللغة، والاحكام الانطباعية، والانفعالية، والشّهادات الذاتية لها وعليها. إنّ الإيديولوجيا هي الموجّهة للخ طاب. بل إنّها المسيطرة على الكاتب أثناء الكاتبة، فالخلفيات السياسية

والدينية لا يمكن لصاحب الخطاب أن يخفيها، وإن حاول ذلك، فهي تظهر في طبقات من الخطاب، وفي الميتا خطاب، وفي المعاني والدلالات الخفية (المضمرة).

2 . الأحكام الانطباعية والانفعالية النابعة عن الذّات المُتشظّية

وهي الأحكام الصادرة عن الذّات الكاتبة، ومنبعها الذات، وتأثيرات الواقع. فأشكال الذاتية في النصوص متنوعة، ويمكن ردّها "نظريًّا إلى صنفين: صنف صريح، وصنف غير مباشر يتمثّل في الألفاظ المعبّرة عن الوجدان، والألفاظ التقويميّة والموجّهات القيمية". (العمامي، 2017: 12- 13). وقد سبق أن ناقشنا الصنف الصريح أثناء حديثنا عن تشظّيات الذات الكاتبة وتشققاتها، أما الصنف غير الصريح، فإننا سنناقشه هنا في الأحكام الانطباعية والانفعالية. وقد سمّي غير صريح، لأنّ الكاتب لا يصرح بموقفه الذاتي تصريحا مباشرا وجليًّا، وإنّما يتخفّى ما هو ذاتي خلف الأحكام التي تصدرها الذات الكاتبة في علاقة بما هو قيمي وتقويمي ووجداني وانفعالي وانطباعي وغير ذلك من الأحكام الذاتية المتجلية في النص "بوصفها حالة في الخطاب ملازمة له".(العمامي، 2017: 11).

وتتجلّى ذاتية الكاتب في نصه بأشكال شتى منها: الوحش، والوحش المريض: وهما وصفان وصف الكاتب بهما الإمام عندما قدم إلى قصر العرضي استجابة لدعوته، يقول المروني: "جاءت سيارة نقلتني إلى قصر العرضي الذي يسكن فيه الوحش [...] وصلت إلى باب الحجرة التي يسكنها الوحش المريض". (المروني، 2001: 181). فاللفظان مصدرهما ذاتي وإيديولوجي، وهما يكشفان عن موقف الكاتب من نظام الحكم آنذاك. ويورد في سياق آخر بعض الأسباب التي يزعم أنّها هي وراء ذلك الموقف. بل إنّه يضيف وصفًا آخر فيها، وهو أنّ الإمام كان قاسيا، ولم يكترث إلى مناشدة الجائعين، يقول: "كان معظمهم يموتون واقفين وهم يناشدون الإمام حين يمر بموكبه أن يرحمهم، ولكنه كان قاسي القلب، لم يرحم تلك الجموع الشاحبة الوجه، والهزيلة الأجساد، والمهلهلة الثياب". (المروني، 2001: 128). ولم يكن هذا الشّاهد مبررا للأحكام الانطباعيّة التي أطلقها الكاتب فحسب، بل إنّه أضاف حكما آخر إلى الأوصاف السابقة، كما أسلفنا، وهو يتكامل معها. فالمشترك بينهما واحد، وهو القوة والقسوة، "كان قاسي القلب لا يرحم". ولعل هذه الأحكام نابعة من شفقة الكاتب على حال الجياع من الناس، ولعلّه من الممكن أيضا أن يكون لها مقاصد أخرى خفية متعلّقة بحركة الأحرار السّاعية للإطاحة بنظام الحكم آنذاك. فتلك الأحكام ما هي إلا مقدّمة لأحكام أخرى منطلقها الذات المعارضة للواقع السياسي والناقدة له، ولما تعرض له بعض السياسيين المعارضين للنظامَ ومنهم الكاتب، من سجن، ومن تهديد، وتعذيب.

وقد أورد الكاتب شاهد آخر لا يخلو من بعض الأحكام، يقول فيه قاصدًا الإمام أحمد: "أصر على سياسية القهر والبطش [...] [و] ترك قلوبا جريحة، وعيونا دامعة ودامية". (المروني، 2001: 146). وفي سياق حديث المروني عما سمّي بسقوط صنعاء في عام 1948م يقول إنّها سقطت: "في أيدي المتوحّشين". (المروني، 2001: 161). وهي أحكام مصدرها الذات الكاتبة. ومن أحكامها أيضا وصفها لحكم الإمامة بالجمود والتخلف، تقول: "إنّ بقاء الإمامة الجامدة المتخلفة ستسبب في بقاء اليمن خارج تاريخ العصر". (المروني، 2001: 154). وهي أحكام نابعة عن ذات لعلّها جريحة تعاني من المرحلة المروية ومن سياسة الحكم آنذاك.

إنّ ما يهمنا في هذا السياق هو التأكيد على أنّ الكتابة في جنس المذكّرات لا تخلو من الأحكام الانطباعية، التي مصدرها الذات، ولا تخلو من موقف ذاتي تجاه المرحلة التي حكم فيها الإمام، وقد يكون للكاتب موقف شخصي، مما

جعله ينفعل أثناء الكتابة بإصداره أحكاما تتعلّق برجال تلك المرحلة، منها، أنّ بقاء الإمامة ستبقي اليمن خارج العصر. وإذا ما علمنا أنّ الكاتب كان من حركة الأحرار التي قادت تمردا على النّظام الحاكم آنذاك، يتأكّد لنا أنّ تلك الأحكام، إنّما هي تعبيرات انفعالية، ومواقف ذاتية مناهضة للمرحلة المروية ولحكامها أيضا، وهي نتيجة للاختلاف السياسي والإيديولوجي بين النّظام الحاكم والمعارضين آنذاك، وكذلك لاختلاف وجهات النظر والرؤية.

ومن الأحكام الانطباعية والانفعالية التي أطلقتها الذات الكاتبة، قولها: "الحاكم الذي لا يعرف قلبه الرحمة[...] انتصر الطاغية[...] الشّعب الجاهل المضلّل" (المروني، 2001: 160). "سكان الجبال القساة غلاظ الأكباد". (المروني، 2001: 164) "مضت بنا السيارة المشؤمة[...] إلى أبشع السّجون وأقساها. [...] كُتب لنا البقاء لكي نشهد نهاية حكم الطّغيان". (المروني، 2001: 165). "كان استجوابي قاسيا وعنيفا[...] [و] كان المدير فظًّا غليظ القلب". (المروني، 2001: 166- 168). "خشيت أن أقع في قبضة ذلك السَّفَّاح". (المروني، 2001: 178).

إنّ الشّواهد السابقة تحمل هي الأخرى بعضا من الأحكام التي أطلقها الكاتب في نصه، ومعظمها يتعلّق بنظام الحكم آنذاك، في علاقة بالمواطنين، وبحقوقهم، وحرياتهم، وبمطالبهم السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وبالنخبة المثقّفة أيضا. فالانغلاق بأشكاله المختلفة ولّد أصواتا معارضة للحكم وناقدة له، وتلك الأحكام دليل على تلك المرحلة المتوتّرة سياسيًّا. وتعبّر عن موقف معارض. وقد كان الكاتب سياسيًّا متطلّعا للتنوير، والحرّية، والانفتاح الثّقافي، وهذا ما لم يكن مهيأ له الواقع السياسي في تلك المرحلة من تاريخ الـ يمن، إذ كان يَعيش انغلاقا سياسيًّا واجتماعيًّا، ويرجع ذلك إلى قلّة الوعي، والخوف من كل ما هو جديد. وهذا كلّه ولّد معارضة شكّلت النواة الأولى لحركة الأحرار التي قادت مواجهات مع النظام الحاكم آنذاك، ولم تكن تلك المواجهات عسكرية فحسب، وإنّما كان للأدب دور فيها، وهنا يمكن أن ننزل الأحكام الانطباعية والانفعالية التي صدرت من ذاتية الكاتب، وتحمل موقفا سياسيًّا وإيديولوجيًّا. وما يهمنا هنا أيضا ليست الأحداث، وإنّما الأحكام التي مصدرها ذاتية الكاتب، وتعبر عن رغبة في إسقاط النّظام. بل إنّها تكشف عن عمق الفـ جوة بين رؤية الكاتب للواقع السياسي، ورؤية النظام الحاكم آنذاك، وعن عمق الخلاف، وخاصة تعرض الكاتب للسجن، والتعذيب، والتخويف، وكل ذلك جعل منه غير راضٍ بواقعه السياسي، وبرموزه السياسية الحاكمة. بل إنّه كان كارها للنظام السياسي.

ونخلص أيضا إلى أنّ الأحكام الانطباعية والانفعالية والإيديولوجية السياسية والدينية مصدرها ذات الكاتب، وهي تعبيرات ذاتية بعيدة عن الحياد والموضوعية في الكتابة. بل إنّ الذاتية متجذّرة فيها، وفي مواقف الكاتب، ورؤيته لواقع الحياة والكون والوجود. إنّ موقف الكاتب من نظام حكم الإمام، وإن كان سياسيًّا في ظاهره، فإنّه أيضا موقف ذاتي إيديولوجي، وإنّ ما يؤكّد ما ذهبنا إليه هي الأحكام الانطباعية الصادرة عن ذات الكاتب، وما أكّده أيضا الكاتب نفسه أثناء حواره مع بعض زملائه عن الوضع في اليمن، ومقارنته بالوضع في العراق، إذ كان المـ ناقشون على فريقين: فريق يقدّس الإمام ويرفض النّقد، وفريق يرفض التقديس ويفصح عن ذلك بطريقة هادئة حتى لا يستفز الآخر المتعصب عقيدة وفكرا، يقول: " [كان] يحصل بيننا خلاف [...] فكان منا من لا يسمح بالنّقد والاعتراض على سياسية الإمام؛ لأنّهم ملتزمون بما نشأوا عليه من تقديس الإمام وتشيع آبائهم وذويهم، وكان البعض يفصح عن امتعاضه بأسلوب هادئ بحيث لا يستفز ذوي العقيدة". (المروني، 2001: 59).

إنّ التقديس – هو أيضا– منطلقه ذاتي وإيديولوجي، ولذلك، يؤكّد الكاتب أنّ نقاشا دار بينه وزملائه، وكان نقاشا دينيًّا إيديولوجيا مداره على الإمام. وقد كان فريق منهم يرى أنّه من غير الممكن توجيه نقد إلى الإمام، بينما فريق آخر، ومنهم الكاتب كان يرى أنّ الأمر عادي، ويمكن توجيه النّقد، فلا تقديس لأحد. ومن هنا كانت تصدر أحكام من الفريقين خالية من الموضوعية؛ لأنّ مصدرها الذات، والتوجه الحزبي، والإيديولوجي. وقد كان للكاتب وفريقه مواقف مغايرة، وهي أكثر حدّة قد تصل إلى حدّ الكراهية، إذ يقول: "كنّا نشعر بالألم، ونضمر الكراهية لهذا الحاكم المتأله الذي يحكم باسم الدين، وهو بعيد عن مبادئه وأهدافه"(المروني، 2001: 65). ويقول: "كان يتعاظم حقدنا على حكومة الإمام يحيى وتشتدّ كراهيتنا له".(المروني، 2001: 68). إنّ ألفاظًا مثل: الحقد والكراهية لها أبعاد سياسية وذاتية أيضا، وتحفر في أبعاد الكتابة، ومقتضياتها ودلالاتها، في علاقة بالمرحلة المروية، وبالصرعات السياسية المتوتّرة، والإيديولوجيات المتناقضة، والمختلفة لنظام الحكم آنذاك وللكاتب أيضا. ولذلك كلّه، فإنّ عنوان النص "الخروج من النفق المظلم" يحيل إلى الذات الكاتبة التي كانت تعيش بعيدا عن حياة العصر وثقافته. بل إنّها ما زالت تعاني من انغلاق ثقافي واجتماعي وسياسي. فإلى أي حدّ نجح الكاتب في الخروج من مأزق النفق المظلم؟ وهل كان للنفق المظلم دور في تشظي الذّات الكاتبة إلى ذوات متناقضة ومتصارعة أحيانا؟ أي أنّ ما عاشه الكاتب قد أحدث اضطرابا في ذاته، ممّا أدى إلى حدوث تشقّقات وتصدعات فيها، جعلتها تتخذ موقفا معاديا. بل وانطباعا ذاتيًّا في تصوراتها لواقع الحياة في النفق المظلم وأثناء الخروج منه. فالنفق المظلم هو أيضا لا يخلو من وصف ذاتي، ومن رؤية ذاتية أيضا، فهو أنفاق، وهو أيضا ظلمات، وهل يمكن أن يكون هناك نفق أكبر من نفق الجهل والانغلاق والابتعاد عن روح العصر ومقتضياته وظروفه؟ إنّ الأنفاق المظلمة هي – في تقديرنا– من ولّدت تشظّيات في الذات الكاتبة، وتشقّقات أيضا، وهي وراء تلك الأحكام الانفعالية التي صدرت عنها سواء كان ذلك بوعي أو دون وعي منها.

الخاتمة:

ناقشنا في هذه الدراسة: "أشكال كتابة الذات: في "الخروج من النّفق المظلم" للمروني (من تجنيس النصّ إلى تشظّي الذات). وقد توصّلنا إلى نتائج عدة نرصدها كالآتي:

– إنّ نصّ المروني "الخروج من النّفق المظلم" هو نصّ في المذكّرات. بل هو أقرب إليها هويّةً وانتماءً من أي جنس آخر. وقد أكّدت ذلك عتبات النص ومظانه، وأن النص يؤكّد على ما ذهبت إليه دراستي جليلة الطريطر ونور الدين بنخود من أنّ ثمّة صلات إحالية مرجعيّة بين النصّ المكتوب والتاريخ العام للمرحلة المرويّة.

– إن نصّ المروني تمرد على بعض الخصائص العامة المؤطّرة لهذا الجنس من الكتابة، وخرج عنها، خاصة فيما يتعلّق بتشظّي الذوات فيه، وتجليات الذاتي في سياق حديث الكاتب عن العام.

– تتجلّى الذات الكاتبة في ضروب من النصوص والأجناس بدرجات متفاوتة، إذ تبرز الذاتية من خلال مظاهر عدّة: أبرزها ضمير المتكلّم، وطرائق السرد، وتشكيل الخطاب، وأساليب القص، وعناوين الفصول. وإنّ الذاتية متجذّرة في اللغة، ومن ثم ، فإنّ الخطاب الذاتي وحده ليس معيارا للحكم على انتماء النص إلى جنس بعينه، بل أنّ هناك معايير أخرى في نص المروني أبرزها، أنه شهادة في الشأن العام، ويحمل وعيا بانتماء النص إلى "الذكريات" وإلى "التاريخ العام" و"التاريخ الشّخصي".

– نتبيّن أنّ الذّات في نص المروني تتشظّى إلى ذوات عدّة، ومردّ ذلك التّشظّي إلى أسباب كامنة في خطاب الكاتب: إيديولوجية وذاتية، وإلى المحطّات التي مر بها في حياته، طفلًا وطالبا ومناضلًا وسياسيًّا وأستاذًا ووزيرا وسفيرا وإلى

غير ذلك. فالتحولات التي عاشتها الذات الكاتبة في مراحل نضالها هي التي أحدثت تلك الذوات المتشظّية. فكل ذات لها حكاية وقصة.

– إنّ كل مرحلة عاشها الكاتب في حياته رواها بذات تختلف عن الذات في المرحلة الأخرى. فحياة الكاتب السياسية والاجتماعية والعسكرية والنضالية والحزبية متشعبة ومتعدّدة، وفيها من التوتّرات والصراعات والسجن والاعتقال والهروب، والفرح والحزن والبكاء. فالذوات في النص ناتجة عن الحيوات التي عاشها الكاتب في الشأن العام، وكل ذات تحكي معاناة، أو ترسم معلَم من معالم الخروج من المحنة ومن النفق المظلم.

– نتبيَّن أنّ التحولات القادحة في بنية النص، وفي حياة الكاتب، قد أدّت إلى تشظّيات في الذات الكاتبة، وتمزيقها إلى ذوات عدّة، وأنّ التشظّيات قد ولّدت أيضا أحكاما انطباعية وانفعالية، وهي أحكام ذاتية نابعة من ذات ممزقة متشظّية قلقة وغير مستقرة. فما مرت به في الشأن العام أفقدها توازنها الموضوعي، وأحدث ذاتا جريحة حاقدة على الواقع وكارهة له. بل إنّها رافضة له، وتنشد واقعا مختلفا ومغايرا، وهذا ما أبانت عنه الذوات المتشظّية في النص.

التوصيات: يوصي البحث بالآتي:

– الاهتمام بدراسة النصوص السردية المرجعية (الذاتية) في اليمن؛ لكونها لم تحظ بالدراسة والتحليل والنقد.

– تدقيق النظر في المذكّرات خاصة، فهي كثيرة ومتشعبة في أحداثها وموضوعاتها، وتحوي مادة سردية: أدبية وتاريخية وسياسية وثقافية واجتماعية، ولا تخلو من تجارب يمكن الاستفادة منها في الحاضر.

مصادر الدراسة ومراجعها:

باديس، نرجس.(2018). **الذّاتيّة في النّظام اللغويّ**. ط1. الدار التونسية للكتاب وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة.

بالزين، شفيع. (2025). **من الكتابة عن الذات إلى كتابة الذات: قراءة في "رسائل الشابي"**. مقال ضمن أعمال ندوة علمية محكّمة. بعنوان: ***"كتابات الأنا في تونس"***. نظّمها أتحاد الكُتّاب التونسيين بمشاركة المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بقفصة ومخبر السرديات والدراسات البينية بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. يومي 18– 19 بقفصة. إشراف العادل خضر. ط1. الدار التونسية للكتاب. (333–361).

بن البحري، عبد المجيد. (2024). **السيرة الذاتية الروائية في الأدب العربي المعاصر: مقاربة أجناسية إنشائية**. ط1. تونس. الدار التونسية للكتاب.

بنخود، نور الدين. (2011). **الذاتية في بعض أجناس النثر العربي القديم**. مقال ضمن أعمال ندوة بعنوان: ***"المتكلم في السرد العربي القديم"***. إشراف: مُحَمَّد الخبو ومُحَمَّد نجيب العمامي. ط1. دار مُحَمَّد علي الحامي وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. (89– 115).

زيتوني، لطيف. (2002). **معجم مصطلحات نقد الرواية**. مكتبة لبنان ناشرون. ط1. – بيروت– لبنان. دار النهار للنشر.

ستالوني، إيف. (2014). **الأجناس الأدبية**. تر: محمّد الزكراوي. مراجعة: حسن حمزة. ط1 . بيروت. المنظّمة العربية للترجمة. مركز دراسات الوحدة العربية. أيار مايو.

شرقي، منيرة. (**2019 ديسمبر**). **النّقد الموضوعاتي**. مجلة الآداب. المجلد: (19). العدد (1). ص- ص: (76-97).

الطريطر، جليلة. (**2008**). **كتابة الذّات في السيرة الذاتية وتجلّياتها لدى لطيفة الزيات ونوال السعداوي**. حوليات الجامعة التونسية. وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة. ع53. (161- 187).

علوش، سعيد. (**1989**). **النّقد الموضوعاتي**. تنسيق: عز الدين العمراني. ط1. الرباط. المغرب. منشورات شركة بابل للنشر والطباعة.

العمامي، محمد نجيب. (**2017**). **الذاتية في الخطاب السردي**. ط1. تونس. دار محمد علي الحامي.

القاضي، محمد. وآخرون.(**2010**). **معجم السرديات**. إشراف محمّد القاضي. ط1. تونس. الرابطة الدولية للناشرين المستقلين. ودار محمّد علي لحامي.

لجون، فيليب. (**1994**). **السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي**. تر: عمر حلي. ط1. المغرب. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.

ماي، جورج. (**2017**). **السيرة الذاتية**. تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة. ط1. القاهرة. دار رؤية للنشر والتوزيع.

المروني، أحمد حسين. (**2001 مايو**). **الخروج من النفق المظلم: معالم سيرة ذاتية**. ط1. صنعاء الجمهورية اليمنية. مؤسسة العفيف الثقافية.

Romanization of references:

Alloush, Saeed. (1989). Alnnqd Almwdweaty. Tansiqu: Eizi Aldiyn Aleumrani. Ta1. Alribati. Almaghribi. Manshurat Sharikat Babil Llilnashr Waltibaeati.

Al-Ammami, Muhammad Najib. (2017). Aldhaatiat fi Alkhitab Alsardi. Ta1. Tunus. Dar Mohmmad Ealiin Alhami.

Badis, Narjis. (2018). Aldhdhatyt Fi Alnnizam Allghwy. Ta1. Aldaar Altuwnusiat Lilkitab Wakuliyat Aladab Walfutun Wal'iinsaniaat Bimanubatin.

Bakhtiyorovna, Khakimova Saida. (2023). "Memoirs As A Source Of Historical Research". Eurasian Journal of History. Geography and Economics. Volume 19. (60- 63). April. www.geniusjournals.org). (In Arabic).

Bin Al-Bahri, Abdul Majeed. (2024). Alssyrt Aldhatyt Alrwayyt Fi Al'adab Alearabii Almueasiri: Muqarabat 'Ajnasiat 'Iinshayiyatun. Ta1. Tunus. Aldaar Altuwnusiat Lilkitabi.

Balzin, Shafi'. (2025). Min Alkitabat Ean Aldhaat 'Iilaa Kitabat Aldhaati: Qira'atan fi "Rasayil Alshaabi". Maqal Dimn 'Aemal Nadwat Eilmiat Mhkkm. Bieunwani: "Ktabat al'ana fi Tunis". Nzzmha

'Athad Alkuttab Altuwnisiiyn Bimusharakat Almaehad Aleali Lildirasat Altatbiqiat fi Al'iinsaniaat Biqufsat Wamukhbar Alsardiaat Waldirasat Albayniat Bikulyat Aladab Walfunun Wal'iinsaniaat Bimanubata. Yawmay 18- 19 Biqafsati. 'Iishraf Aleadil Khadar. Ta1. Aldaar Altuwnusiat Lilkitabi. (333- 361).

Benkhoud, Nour El-Din. (2011). Aldhaatiat fi Baed 'Ajnas Alnathr Alearabii Alqadimi. Maqal Dimn 'Aemal Nadwat Bieunwani: "Almutakalim fi Alsard Alearabii Alqadimi". 'Iishrafi: Mohmmad Alkhabuw Mohmmad Najib Aleamami. Ta1. Dar Mohmmad Ealii Alhami Wakuliyat Aladab Walfunun Wal'iinsaniaat Bmnnwb. (89- 115).

Frosh, Stephen. (1999). *"What is outside discourse"?.* Psychoanalytic Studies 1, 4, pp: (381-390).

Hebeler, Bryan Edward. (2017). *Unfinished: A Memoir*. Masters Theses Student Theses and Publications. Eastern Illinois University.). (In Arabic).

Lajoun, Philip. (1994). Alsiyrat Aldhaatiatu: Almithaq Waltaarikh Al'adbi. Tur: Eumar hali. Ta1. Almaghribi. Almarkaz Althaqafii Alearabii. Aldaar Albayda'.

Al-Marouni, Ahmed Hussein. (May 2001). Alkhuruj Min Alnafaq Almuzlima: Maealim Sirat Dhaty. Ta1. Sanea' Aljumhuriat Alyamaniatu. Mwssst Aleafif Althqafy.

May, George. (2017). Alssyrt Aldhaty. Taerib Mohmmad AlQadi Waeabd Allah Sawlatu. Ta1. Alqahirata. Dar Ruyat Lilnashr Waltawzie.

Pol, Caroline Van de. (2013). *Truth in Memoir*. A Thesis Submitted in Fulfilment of the Requirements for the degree of Doctor of Philosophy. University of Wollongong. https://ro.uow.edu.au/theses). (In Arabic).

Al-Qadi, Mohammed And Others. (2010). Muejam Alssrdyat. 'Iishraf Mohmmad Alqadi. Ta1. Tunis. Alraabitat Alduwliat Lilnaashirin Almustaqiliyna. Wadar Mohmmad Ealiin Lihami.

Sharqi, Munira. (December 2019). Alnnqd Almwdweaty. Majalat Aladab. Almujaladi: (19). Aleadad (1). Sa-Si: (76- 97).

Shrikarunaakaran, K. (2018). *"Trying Toget It Straight": Fragmentation Of Subjectivity In Michael Ondaatje's Memoir Running In The Family.* Research Journal Of English(RJOE, An International Peer-Reviewed English Journal. The English and Foreign Languages University. Hyderabad. India. Vol-3.Issue-4.). (In Arabic).

Stalloni, Yves. (2014). Al'ajnas Aladby. Tir: Muhammad Alzakrawi. Murajaeata: Hasan Hamza. Ta1. Bayrut. Almnzzmt Alerbyt Liltarjamati. Markaz Dirasat Alwahdat Alerby. 'Ayaar Mayu.

Steven Cohan. Linda M.Shires.(1988). *Telling Stories: Theoretical Analysis of Narrative Fiction*. London: Routledge. (In Arabic).

Al-Taritar, Jalila. (2008). Kitabat Aldhdhat fi Alssyrt Aldhatyt Wtjllyatha Ladaa Latifat Alzzyat Wanawal Alssedawy. Hwlyat Aljamieat Altuwnusiati. Wakuliyat Aladab Walfunun Wal'iinsaniaat Bmnnwb. ea53. (161- 187).

Torgovnick, Marianna. (1990). *"Experimental Critical Writing".* Profession 90. pp: (25-27).). (In Arabic).

Zaytouni, Latif. (2002). Muejam Mustalahat Naqd Alriwayati. Maktabat Lubnan Nashiruna. Ta1. - Bayrut-Lubnanu. Dar Alnahar Lilnashri.